نحو نظريّة عربيّة للإحالة الضّميريّة
دراسة تأصيليّة تداوليّة

ميلود نزار
جامعة الحاج لخضر
باتنة - الجزائر

الملخص

يعالج هذا المقال موضوع الإحالة الضّميرية ودورها في تماسك النصوص من المنظور التداولي، وتأصيل مفاهيمها وأنماطها: الداخلية والخارجية، واتجاهاتها: القبلية والبعدية في التقاليد العربية عند النحاة والمفسّرين والبلاغيّين وشرّاح الشعر ونقاده، ومقاربة هذا الإرث اللّساني العربي بالنظريات اللسانية الغربية المعاصرة التي تختصّ بلسانيات النص وتداوليّاته، وتشخيص التداخل والتخارج بين الفريقين: قدامى ومحدثين.

الكلمات المفاتيح

الإحالة الضميرية - التداولية - التأصيل - التماسك النصي.

Résumé

Cette étude aborde le sujet de la référence pronominale et son rôle dans la cohésion des textes d'une façon pragmatique, en analysant, d'une part, ses notions et ses types (endophora, exophora), et d'autre part, ses tendances (anaphora et cataphora) dans la tradition arabe. Nous tentons aussi de comparer ce patrimoine linguistique arabe aux théories linguistiques occidentales contemporaines spécialisées en linguistique textuelle et pragmatique.

Mots-clés

Référence pronominale - pragmatique - cohésion.

Abstract

This study sheds light on the pronominal reference topic and its role in text cohesion in a pragmatic way. It analyses, on the one hand, its notions and types (endophora, exophora) and, on the other hand, its trends (anaphora and cataphora) in the Arab tradition. It also compares between the Arab linguistics' heritage and the contemporary occidental theories specialized in textual and pragmatic linguistics.

Keywords

Pronominal reference - pragmatics - cohesion.

تمهيد

لقد التفت العرب القدامى إلى ظاهرة الإحالة (العائدية) الضّميريّة وصنّفوا الضّمائر إلى منّصلة ومنفصلة ومستترة وظاهرة وإشاريّة وموصولة...إلخ.

كما اهتمّ اللّسانيُّون المُحدَثُون من العرب والأعاجم بالظّاهرة الآنفة الذكر، وقاربوها من زوايا مختلفة: تركيبية أو دلاليّة أو هما معا فصنّفوا الإحالة الضّميريّة إلى قسمين - وكلّ صنف يستدعي منهجا مخصوصا - عندما بيّنوا أنّ الإحالة الضّميريّة تختلف باختلاف طبيعة مفسِّر الضّمير؛ إذ إنّ الإحالة تكون لغويَّة (نصّيّة) إذا كان مفسِّر الضمير مذكورا داخل النص، أما إذا كان خارجه فتغدو الإحالة تداوليَّة.

لقد انحصر اهتمام التّداوليّات في الإحالة المقاميّة (العائديّة الحرّة) حين يكون مفسِّر الضّمير غير مذكور في السّياق اللّغويّ فنتوسّل لتعيينه بإجراءات تداوليّة[1] عبر الوسيط المقاميّ ومتغيِّراته.

إنّ الجهاز الوصفيّ لنحو الجملة لا يقوى على رصد الإحالة الضميريّة وضبطها حيث العلاقة بين الضّمير ومفسِّره على مسافة بعيدة، وهو ما أهاب بلسانيّي الجملة إلى عدم الاهتمام بالظاهرة حرصا على تناغم طروحاتهم النظريّة مادام مجال الإحالة بشتى تجليّاتها هو الخطاب لا الجملة.

وبناء على ذلك ينبغي أن توصف الإحالة وتفسَّر في إطار أوسع يكبر الجملة لاسيّما أنّها تسهر على اطّراد بعض الوحدات المعجميّة والعناصر الإشاريّة وتواصلها المستمرّ داخل النص أو الخطاب كتكرارها لفظا أو دلالة أو هما معا أو استبدالها بعضها ببعض يحلّ محلّها ويضطلع بوظيفتها أو حذف وحدة لسانيّة استنادا إلى الخلفيّة المعرفيّة المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب.

1. مفهوم الإحالة

أ- لغة

جاء في لسان العرب: "المُحَال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوّله جعله محالا، وأحَال أتى بمُحَال، ورجل مِحوَالٌ: كثير محال الكلام ... ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته.

---

[1] انظر:

محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، د. ط؛ القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة، 2002، ص 12 وما بعدها.

جاك موشلار، التّداوليّة اليوم، علم جديد في التّواصل، ترجمة سيف الدّين دغفوس ومحمد الشّيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط 1؛ بيروت: دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، 2003، ص 29.

جان سيرفوني (Jean Cervoni)، الملفوظيّة، ترجمة قاسم المقداد، د. ط؛ منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1998، ص27 وما بعدها.

فان دايك، النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلاليّ والتّداوليّ، ترجمة عبد القادر قنيني، د. ط؛ افريقيا الشّرق، 2000، ص275 وما بعدها.

أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، د. ط؛ الرّباط: دار الأمان للنّشر والتّوزيع، 2001، ص 137 وما بعدها.

وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنّه قال: المحال الكلام لغير شيء ... والحِوَالُ: كلّ شيء حال بين اثنين ... حال الرّجل يحول تحوّل من موضع إلى موضع. الجوهريّ: حال إلى مكان آخر أي تحوّل ... "[2].

إنّ كلمة "أحال" تستعمل لازمة ومتعدّيّة؛ وإذا تعدّت فإنّها تعني نقل الشّيء من حال إلى حال أخرى وتعني توجيه شيء أو شخص على شيء أو شخص آخر لجامع يجمع بينهما، كما تجوز الدّلالة بها على المعنى الاصطلاحيّ الذي يحيل فيه العنصر الإحاليّ على عنصر إشاريّ يفسّره ويحدّد دلالته.

ب- اصطلاحًا

بادئًا ذي بدء نشير إلى أنّ مفهوم "الإحالة" الذي نرتضيه ونرمي إليه من خلال بحثنا ليس ذلك المفهوم الفلسفي التّقليدي الذي هو"العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"[3]، بل نقصد من وراء إطلاق مصطلح "الإحالة" المفهوم النّصيّ الذي يتردّد على ألسنة علماء النّص؛ إذ "يثير مفهوم الإحالة - ونعني مقابلها في اللّغات الغربيّة كالفرنسيّة (référence) مثلا - مشكلا اصطلاحيّا، إذ هي تعني تارة العمليّة التي بمقتضاها تحيل اللّفظة المستعملة على الشّيء الموجود في العالم؛ أي ما كان يسمّيه القدامى "الخارج" وهي تعني تارة أخرى إحالة اللّفظة على لفظة متقدّمة عليها"[4].

إنّ مصطلح "الإحالة" في البحث اللّسانيّ يشير إلى مفهومين مختلفين:

أوّلهما تقليديّ: وهو ما كانت اللّسانيّات التّقليديّة لا سيّما البنويّة لا تعتبره من صميم الدّراسة اللّسانيّة العلميّة الحقة ؛ فكانت تعتبر المرجعيّ (la référence) "مجالا ينبغي إبعاده من الدّراسة اللّسانيّة بالرّغم من الأهميّة التي يكتسيها في فهم الخطاب البشريّ"[5].

وثانيهما: هو إحالة العناصر اللّغويّة إلى بعضها البعض داخل نصّ من النّصوص لتشكّل عالما نصيّا، فـ"الإحالة (reference) هي العلاقة بين العبارات والأشياء (objects) [أي العناصر المفهومية ذات الهوية الدائمة] والأحداث (events) [أي الوقائع المغيّرة للحالات في إطار الموقف التواصلي والمواقف (situations) ... في نصّ ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النّص"[6]؛ من حيث هو الموازي الإدراكي في ذهن المستعمل للّغة الطبيعيّة عبر المفاهيم

---

[2] ابن منظور، لسان العرب، د. ط؛ دار إحياء التراث العربيّ، د. ت، مادة (حول).

[3] جوليان براون و جورج يول (Gillian Brown , George Yule)، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التّريكي، د. ط؛ السّعوديّة: جامعة الملك سعود، 1997، ص 36.

[4] محمد الشّاوش، أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، ص 125.

[5] ذهبيّة حمو الحاج، لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب، د. ط؛ الجزائر: دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2005، ص 92.

[6] روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 320.

والعلاقات المختزنة في ذاكرته، وما ينشّطه النص الحاضر من المعلومات والمفاهيم والعلاقات، ويربط بين هذه وتلك ربطا إجرائيّا؛ كما يشمل كلّ السّياقات والأحداث والوظائف التداوليّة لكلّ عنصر من عناصر النّص على اعتبار أنّه بديل لما هو موجود في الخارج.

ويذهب سعيد بحيري إلى أنّ "الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغويّ يطلق عليه "عنصر علاقة" وضمائر يطلق عليها "صيغ الإحالة" وتقوم المكوّنات الاسميّة بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسِّر أو العائد إلى"[7]؛ فالإحالة كما هو واضح من تحديد سعيد بحيري هي العلاقة بين عنصرين أحدهما إشاريّ والثّاني إحاليّ حيث يقوم العنصر الإشاريّ بدور التّفسير والتّبيّين لدلالة العنصر الإحاليّ الّذي يعود عليه؛ وتلك العائديّة ضميريّة كانت أو إشاريّة أو تكراريّة تسهم في تماسك النّص وترابط أجزائه المتباعدة في فضائه، وبذلك تعدّ الإشارات اللّغويّة الّتي تتصدّر النّص ذات قيمة كبيرة في صياغة موضوع الإحالة تتركّز فيها عناصر النّص الدّلاليّة، وتعدّ منه بمنزلة التّفسير، والإحالة هي إحالة عنصر على عنصر متقدّم أو مستهَلٍّ به أو ما يمكن تسميّته بـــ "العنصر الإشاريّ"؛ وبذلك تكون الإحالة عوداً على بدء وربطاً للآخر بالأوّل، وفي هذا الرّبط يتحقّق الانسجام والتّرابط أو ما يدعى بـــ "التّماسك النّصي" حيث "ندرك تحت التّضافر الاسميّ مجموع الإحالات بين الأسماء بكلّ ما في الكلمة من معنى هي ظواهر نصيّة داخليّة. ومن ثمّ فهي انعكاسات نصيّة لأفعال التّعلّق الدّاخليّ بما هو خارجيّ"[8].

إنّ البنيّة الإحاليّة في أيّ نصّ مُنجَز تتّصل بمستواه الدّلاليّ اتّصالا وثيقا لأنّها تفتح المجال للقراءة والتّأويل في إطار سياق أو مرجعيّة تتحكم في التّأويل وتحديد المعنى المقصود من بين المعاني المحتملة؛ فقد تكون بنية العقائد بنية إحاليّة تشكّل قاعدة ثقافيّة واجتماعيّة ومرجعا يستعين به النّاقد والقارئ للفهم والتّأويل على اعتبار أنّ النّص الأدبيّ ينفعل بكلّ ما يحيط به من أحداث وظواهر ويعجّ بمشاعر ومبادئ ثقافيّة ودينيّة ... وتؤسّس هذه الجوانب الخارجيّة بنية مرجعيّة إحاليّة لا غنى للنّاقد من الرّجوع إليها والإحالة عليها لتمام الفهم، وبذلك تكون البنية الإحاليّة مفهوما يعكس الخلفيّة الّتي ينبغي الرّجوع إليها لوضع النّص في إطاره العامّ، ويجنّب النّاقد أو القارئ كلّ قراءة جزئيّة تُخرج النّص عن إطاره وسياقه الّذي ولد فيه.

ويذكر أحمد عفيفي تعريفا أكثر شمولا للإحالة فهي"ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنّها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معيّنا"[9]؛ فمادام لمستعمل اللغة الطبيعيّة (المتكلّم أو الكاتب) الحقّ في بناء الإحالة حسبما يريد فشرط انبنائها هو النّص من خلال عناصر إحاليّة

---

[7] سعيد حسن بحيري، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، ط 1؛ القاهرة: مكتبة الآداب، 2005، ص 98.

[8] زتسيسلاف واو رزنياك، مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص، ط 1؛ القاهرة: مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2003، ص 123 .

[9] نحو النّص اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، ص 116.

تقوم على مبدإ التّماثل بين ما سبق ذكره في مقام آخر وبين ما هو قائم؛ لأنّ الأسماء عموما تعيد أو تستحضر في أذهاننا مسمياتها بوجوب علاقة دلاليّة تخضع لقيد التّطابق بين الخصائص الدّلاليّة بين العنصرين المحيل والمحال عليه؛ وبذلك تعدّ الإحالة ضامنة لانسجام مكوّنات أجزاء النّص بربط مفاهيمه وجمله وفقراته"[10].

ولا مناصّ من الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ الأزهر الزّنّاد يعرّف الإحالة بقوله: "الأصل في الإحالة أن يجري تعيّين المرجع أو المفسِّر ثمّ تجري الإحالة عليه بعد ذلك، إحالة اللاّحق على السّابق"[11]، ورغم هذا فإنّ القلب في اتّجاه الإحالة لا يمنع انسجام النّص؛ فالبنية الإحاليّة في النّص تتميّز عن البنية التّركيبيّة لأنّها تعمل في الاتّجاهين دون ضير بالمعنى؛ فقد يأتي العنصر الإشاريّ أو المفسِّر المعيَّن بعد العنصر الإحاليّ ولاحقا عليه نحو ضمير الشّأن في العربيّة حيث يكمن عنصر الانسجام الّذي توقره الإحالة في كونها تتطلّب من القارئ البحث عن أواصر العنصر الإشاريّ الغائب الحاضر في النّص فتكوّن بذلك عُقَدًا أسلوبيّة تقوّي خيط الخطاب لأنّها تتخلّى عن جاهزيّة المعنى وما فيه من إهدار للطّاقة المعنويّة المُكثّفة والمُختزَلة في العنصر الإحاليّ.

وبناء على ذلك اعتبر محمد خطّابي "الإحالة علاقة دلاليّة، ومن ثمّ لا تخضع لقيود نحويّة إلاّ أنّها تخضع لقيد دلاليّ وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[12] فعنصر الانسجام يتولّد من خلال تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العناصر الإحاليّة والعناصر الإشاريّة، وهذا التّطابق من شأنه أن يتحقّق عبر التّعالق النّاجم عن تتابع العناصر في النّص، وعلى القارئ أن يفترض أنّ هناك ثيمة أو بؤرةً أمًّا وبنى صغرى متفرّعة عنها تتوالد عبرها إحالات إلى نهاية النّص وعنصر الانسجام يتجلّى في الكشف عن تعالق تلك العناصر بعضها ببعض؛ أي الكشف عن مكمن التّرابط بينها؛ فالرّبط الإحاليّ هو "الّذي يمدّ جسور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص، إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص، فتجتمع في كلّ واحد (من تلك الأجزاء) عناصره متناغمة"[13].

إذا لا بدّ من ارتباط دلاليّ ما يَلُمُّ شتات تقطيع خيط الخطاب ليستحوذ على شرعيّته، ويتوفّر على الانسجام والنّصيّة من خلال انتقال التّواشج الجمليّ إلى الصّعيد الأرحب عبر عمليّة متبادلة بين العناصر اللّسانيّة المشكّلة للخطاب، فلا مناصّ من إدراك أنّ البنى النّصيّة في تشكّلها وصيرورتها رهينة بتواشج مع جاراتها في سياق معيّن؛ فبدل أن يتشظّى الخطاب بين بنى متفرّقة قددا يصبح

---

[10] محمد مفتاح، مجهول البيان، د. ط؛ الدّار البيضاء: دار توبقال، 1990، ص 80.

[11] الأزهر الزنّاد، نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، ط 1؛ بيروت: المركز الثّقافي العربيّ، 1993، ص 114.

[12] محمد خطابي، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

[13] سعيد بحيري، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، ص 98.

جملة انسيابيّة واحدة، تشكّلها أجزاء متناغمة فيما بينها؛ فـ "الإحالة تقوم بدور بارز في إنشاء التّماسك الدّلاليّ للنّصّ؛ إذ إنّ شيوع ورود صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كلّ نصّ تبرز أنّ الإحالة تشغل ضمن العناصر المؤثّرة في تماسك النّص مكانا بارزا، ويكون بحثها من خلال نحو النّص لتقديم القواعد التي يجب أن تفي بقيود ما يسمّى بالنّصيّة" (textualité)"[14]، كما أنّها "أداة كثيرة الشّيوع والتّداول في الرّبط بين الجمل والعبارات التي تتألّف منها النّصوص"[15]، وبالتّالي فـ "الإحالة من العناصر المؤثّرة في تماسك النّص"[16] وتحقيق انسجامه.

2. أنواع الإحالة

نرى من الضّروري قبل الحديث عن أنواع الإحالة أن نشير إلى أنّ اللّغة تشتمل على نوعين من العناصر يمثّلان قطبي الإحالة وهما: العنصر الإشاريّ والعنصر الإحالي؛ ففي سياق الحديث عن طبيعة الرّوابط الإحاليّة في النّصوص لا بد من التعريف بهما فيما يلي بإيجاز:

1.2. العنصر الإشاريّ

يعرّفه الأزهر الزّنّاد بأنّه "كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"[17] فقد يكون لفظا دالاً على حدث أو ذات كإحالة ضمير المتكلّم (أنا) على ذات صاحبه، وحينئذٍ يرتبط العنصر الإحاليّ بعنصرٍ إشاريٍّ غير لغويٍّ ممثّلاً بذات المتكلّم، أو موقع ما في الزّمان نحو:

- بعد أسبوع، أمس، غدًا، الآن، الأسبوع الماضي، يوم الجمعة، السّنة المقبلة، منذ شهر، الخ؛

فهذه العناصر الإشاريّة تحدّد زمنًا بعينه بالقياس إلى زمان التّكلّم أو مركز الإشارة الزّمانيّة[18].

أو المكان نحو:

- ظروف المكان (هنا، هناك، فوق، تحت، الخ) وأسماء الأماكن ... نحو قول القائل: أريد أن أعمل هنا.

فهل القائل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسّسة، أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة، أو في هذه الدّولة، أو غير هذه جميعا؛ فكلمة "هنا" عنصر إشاريّ لا يمكن تفسيره إلاّ بمعرفة المكان الّذي يقصد المتكلّم الإشارة إليه واتّجاهه انطلاقا من مركز الإشارة المكانيّة[19].

---

[14] المرجع السابق، ص 107.

[15] إبراهيم خليل، في اللّسانيات ونحو النّص، ط 1؛ الأردن: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع، 2007، ص 227.

[16] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق، ص 71.

[17] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 127.

[18] محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 20. وانظر كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1984، ص 134، 135. جان سيرفوني، مرجع سابق، ص 37 وما بعدها. ذهبية حمو الحاج، مرجع سابق، ص 107 وما بعدها.

[19] محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص ص 20-23. وانظر المنصف عاشور، مرجع سابق، ص 134، 135. ذهبية حمو الحاج، مرجع سابق، ص 113، 114.

كما قد يكون جزءا من ملفوظ أو ملفوظات بأكملها جرى التلفظ بها ثمّ تعاد الإشارة إليها باختزالها في عنصر إحاليّ يعوّضها، ويتّضح ذلك من خلال تأمّل هذين المثالين فيما يلي:

من الجزائر نقدّم إليكم نشرة الظّهيرة للأنباء، و**هذا موجزها...**
صرّح ناطق باسم وزارة الخارجيّة فقال **ما يلي**: ...

يتكشّف لنا من خلال المثال الأوّل إحالة ضمير الإشارة (هذا) إحالة بعديّة إلى عنصر إشاريٍّ نصّيٍّ يُفسِّره حيث يتمثّل في الكلام الّذي يليه وهو موجز نشرة الظّهيرة؛ فالعنصر الإشاريُّ هنا جزء من الملفوظ أو قد يكون هو الملفوظ بأكمله، وهذا ما ينسحب على المثال الثّاني.

وقد يكون عبارة عن مفاهيم جرى التلفظ بها في صورة أسماء مفردة أو مركبات اسميّة تُذكَر صراحة أوّل مرّة في النّص[20]، وبالتّالي فالعنصر الإشاريّ يُشار إليه إشارة أوّليّة بحيث لا يرتبط بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة لأنّه مؤشّر (index) لذاته، وفهمه ليس مبنيّا على غيره من العناصر اللّسانيّة بسبب ارتباطه بالحقل الإشاريّ (deictic field) ارتباطا مباشرا دون توسّط أيّة عناصر إحاليّة أخرى لأنّها تكوّن العناصر الأساسيّة الدّنيا في عالم أيّ خطاب[21]؛ ولذلك فهي ضروريّة الورود لتُجيز وجود العناصر الإحاليّة.

وبناء على ذلك يذكر الأزهر الزّنّاد أنّه بمجرّد أن يتلفّظ الإنسان يصبح ذلك الملفوظ "ملكا له، فتنحصر الأبعاد الجماعيّة في اللّغة كي تحلّ محلّها الأبعاد الفرديّة المقترنة بالآن والهنا والأنا والأنت ... وقرائنها هي العناصر الإشاريّة ... وهذه القرائن شرط في فهم الملفوظ وإعطائه معنى لأنّها ترتبط بالمقام"[22]؛ فتلك العناصر اللّسانيّة المُحيلة إلى الذّوات أو الأزمنة أو الأمكنة أو أجزاء من ملفوظات أو ملفوظات برمّتها لا يمكن معرفة ما تدلّ عليه لأنّها أشكال لسانيّة فارغة في المعجم، فينبغي تفسيرها في ضوء ارتباطها بالمقام أو الحقل الإشاريّ لمعرفة قرائنها الّتي تحدّد معانيها وتعيّن دلالاتها.

ويذكر شاهر الحسن في السياق ذاته قائلا: "إنّ المؤشّرات اللّغويّة - الضّمائر، أسماء الإشارة، والظّروف الزّمانيّة والمكانيّة... تتحدّد مدلولاتها الدّقيقة في ضوء عناصر المقام والعبارة الّتي ترد فيها هذه المؤشّرات"[23].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنّ هناك نوعين من العناصر الإشاريّة وتتمثّل في:

- **العناصر الإشاريّة المعجميّة:** وتتمثّل في الوحدات المعجميّة المفردة الّتي يُحال عليها.

---

[20] سعيد بحيري، مرجع سابق، ص 102.

[21] المرجع نفسه، ص 100، 101.

[22] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 116، 117.

[23] حسن شاهر، علم الدّلالة السمانتيكيّة والبراجماتيّة في اللّغة العربيّة، ط 1، عمان، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2001، ص 167، 168.

- **العناصر الإشاريّة النّصيّة:** وهي عبارة عن مقطع أو جزء من ملفوظ أو ملفوظ كامل يُحال عليه نحو قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[24].

نلاحظ احتواء هذه الآية على عناصر إشاريّة معجميّة وعنصر إشاريّ نصّيّ واحد فقط، وتتمثّل الأولى في (السّماء، شراب، شجر، الزّرع، الزّيتون، النّخيل، الأعناب، الثّمرات)، بينما يتمثّل الثّاني في الملفوظ السّابق على العنصر الإحالي وهو ضمير الإشارة (ذلك) حيث ورد هذا الأخير اختزالاً للكلام واقتصادًا للجهد واجتنابًا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداثٍ تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الّذي يحيل عليه العنصر الإحاليّ الجامع لكلّ ما تقدّم عليه، ونمثّل لذلك بالشّكل التّالي:

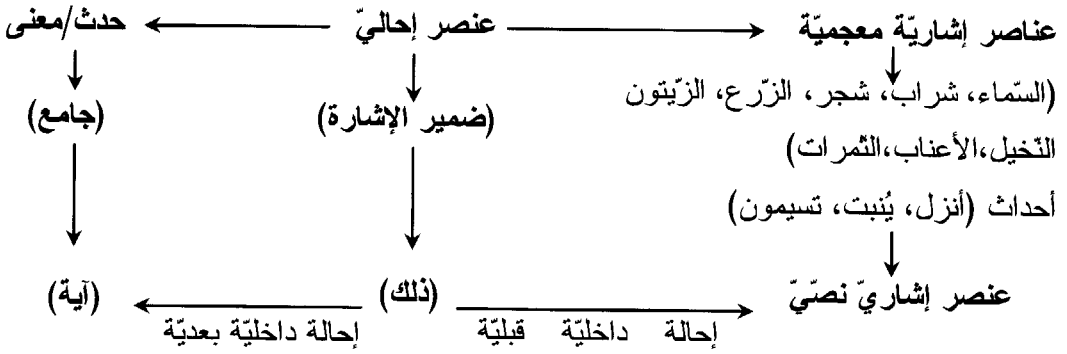

الشّكل رقم 1

وللقارئ أن يُلاحظ كثافة العناصر الإشاريّة المعجميّة من خلال الشّكل مقابل عنصر إشاريّ نصيّ واحد فقط، وفي هذا السّياق يذكر سعيد بحيري أنّ العنصر الإشاريّ النّصيّ "يتميّز عن الأوّل في طبيعة تكوينه والهدف منه؛ أي إنّ العناصر الإشاريّة النصيّة هي مقاطع من الملفوظ قد تطول وقد تقصر، وقد تمثّل جزءا من مقاطع تجري الإحالة عليها للاختصار واجتناب التّكرار، وتتميّز هذه العناصر الإشاريّة النّصيّة عن العناصر الإشاريّة المعجميّة بكونها أقلّ انتشارًا"[25].

2.2. العنصر الإحاليّ

يعرّفه الأزهر الزّنّاد بقوله: "العنصر الإحالي هو كلّ مكوّن يُحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر

---

[24] سورة النّحل، الآيتان 10، 11.

[25] سعيد بحيري، مرجع سابق، ص 102.

يفسّره"[26]؛ وبذلك تكون العناصر الإحاليّة فارغة دلاليّا ممّا يجعل تفسيرها رهين ربطها بالعناصر الإشاريّة الّتي تعوّضها، ويذكر محمد خطّابي بأنّ "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفّر كلّ لغة طبيعيّة على عناصر تملك خاصيّة الإحالة"[27].

ولحاجة القارئ إلى مزيد من المعلومات والتّوضيح يذكر الأزهر الزّنّاد في مقام آخر أنّ:

"العنصر الإحاليّ -كما تقرّر في الدّرس اللّغويّ- مكوّن يعوّض مكوّنا آخر ذكِر في موضع آخر سابق عادة ... فعوض أن يرد العنصر الإشاريّ في موضع الحاجة إليه بعد أن ورد أوّل مرّة يرد عنصر إحاليّ ينوب عنه ويؤدي معناه ويحمل جملة المقولات الّتي يحملها مفسِّره: الجنس العدد ... هو صدى لغيره من المكوّنات إذ لا يُفهم إلاّ بالعودة إليها، ثمّ هو يطابقها في عدد من السّمات التّركيبيّة والمقوليّة"[28]

وللتّوضيح نورد المثال التّالي:

أهدى لي أستاذٌ كتابًا، هو مؤلّفه.

فالاسم النّكرة (أستاذ) الّذي يرد أوّل مرّة في النّصّ يُمثّل معلما إشاريًّا يحمل سمات مقوليّة في ذاته، وعند الحاجة إلى ذكره مرة أخرى يُعوَّض بمضمر وهو الضّمير المتّصل بلفظ (مؤلفه) في الجملة الثّانية شريطة أن يحمل هذا المعوِّض النّائب عن العنصر الإشاريّ سماته المقوليّة (الجنس، العدد، التّذكير، التّأنيث، الإفراد، الجمع، التّثنية...) ويضطلع بأداء وظيفته ودوره المعنويّ لأنّه يُفسَّر في ضوئه، ويمكن ملاحظة السِّمات المقوليّة الجامعة بين العنصر الإشاريّ (أستاذ) والعنصر الإحاليّ (هو) فيما يلي:

أستاذٌ (+عاقل، +مذكّر، +مفرد، +كهل، -معرفة...).

هو (+عاقل، +مذكّر، +مفرد، +كهل، +معرفة...).

ورغم الاختلاف الحاصل ما بين العنصر الإشاريّ (أستاذ) والعنصر الإحاليّ (هو) في التّنكير والتّعريف فلا يتّفق لنا أن نعيد كلمة (أستاذ) بلفظها النّكرة حيث يتعطّل الفهم وينصرف الذّهن إلى أنّ (أستاذ) الثّانية غير الأولى؛ ولذلك جيء بالضّمير وهو معرفة فعوَّض اسمًا نكرة.

ففي"الإحالة يحكم العنصر الإشاريّ العناصر الإحاليّة المتعلّقة به كلّها"[29] دون أن تفرض على هذا التّحكّم الخطّية في الكلام اتّجاها معيّنا؛ لأنّ العنصر الإحاليّ قد يشير إلى ما سبق ذكره أو إلى ما سيأتي لاحقا عليه بل إنّ مصطلح العنصر الإحاليّ يطلق على نوعين من العلامات:

---

[26] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 131، 132.

[27] محمد خطابي، مرجع سابق، ص 16، 17.

[28] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 133.

[29] سعيد بحيري، من أشكال الرّبط في القرآن الكريم، ص 145.

1- "العلامات التي ترجع إلى الوراء وتسمّى (anaphoric reference).
2- العلامات التي تتقدّم إلى الأمام وتسمّى (cataphoric reference)"[30]، نحو:

هذه هي القصّة التي قرأتــها.

فالهاء في (قرأتها) ترجع إلى كلمة (القصّة) السّابقة الذّكر وعوّضتها، وأمّا العلامات التي تتقدّم نحو الأمام فنُعرف عند ملاحظة ضمير الإشارة من المثال التّالي:

اسمعوا **هذا**: عمر سيتزوّج. فــ **(هذا)** عنصرٌ إحاليٌّ يُشير إلى لاحق (عمر سيتزوّج).

وهكذا ننتهي إلى القول بأنّ العنصر الإشاريّ قسيم العنصر الإحاليّ ورديفه الذي يلازمه في أيّ نصّ، ولا يكون للأخير قيمة في غياب الأوّل؛ فالعنصر الإشاريّ هو المُحدِّد والمُبيِّن للعنصر الإحاليّ حيث يزيل إبهامه؛ وبالتّالي فحضوره ضروريّ إمّا متقدّما أو متأخّرا حتّى تتمّ الإحالة إليه لأنّ الاضطراب يشيع ويختلّ النّص ويستغلق الفهم حين عود العنصر الإحاليّ على أكثر من عنصر إشاريّ واحد.

أ- الإحالة الخارجيّة (Exophoric reference)

ترتبط الإحالة الخارجيّة بالمقام التّداوليّ المحيط بالنّص أو الملفوظ؛ فالعناصر الإحاليّة نحو: الضّمائر، والإشارات، الموصولات، ظروف الزّمان والمكان ... إلخ يرتبط تفسيرها بالمقام الإشاريّ الخارجيّ؛ وبالتّالي فلسياق الحال دور حاسم في تأويلها وتحديد دلالاتها وضبط معانيها لأنّها عناصر لسانيّة فارغة معجميّا، ولا يكون لها من معنى إلاّ عند تموضعها في سياق تركيبيّ، فحينئذ تُفسَّر في إطار بنية النّص أو في بنية السياق المقاميّ.

وبالتّالي فالإحالة الخارجيّة علاقة موجودةٌ بين نصٍّ أو بعض عناصره وبين السّياق الخارجيّ؛ وهذا يُوجِّه إلى أنّ النّص يُفسَّر بإشارات ومعان قائمة بالخارج وتُعدّ هذه الإشارات منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته؛ لذا إذا فُهمَت هذه الأسباب الخارجيّة زال إشكال الإبهام وحصل بالتّالي فهم دلالة النّص بواسطة هذه الإحالة الخارجيّة. ومن أمثلة هذه الإحالة ما نقف عليه عند قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[31].

في هذا الجزء من السّورة الكريمة عنصرٌ إشاريٌّ محوريٌّ هو (المؤمنون) وردت بعده مجموعة من العناصر الإحاليّة ممثّلة في الضّمائر: هم (المُتكرِّرة) وواو الجماعة (المُتكرِّرة) ثمّ

[30] كريم زكي حسام الدّين وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، إنكليزي – عربي، ص 6.
[31] سورة المؤمنون، الآيات 1، 2، 3، 4، 5.

يقع تجاوز الدّلالة عن هذه البنية بالإحالة إلى بنية أخرى بُنِيَ توجيه الإحالة فيها إلى خارج النّص اللّغويّ؛ هي الإحالة إلى ذات الله عزّ وجلّ. فالمستوى الخارجيّ للإحالة يقوم على وجود ذات المخاطِب خارج النّص وتتوفّر فيه إحالة على خارج اللّغة.

إنّ ارتباط العناصر الإحاليّة بالعناصر الإشاريّة يجعلها تفيد ولا تعني فهي غير ذات معنى خارج سياق ورودها، فوظيفتها الدّلاليّة رهينة بتسييقها؛ فإذا علقت بمفسّر مقاميّ تغدو عندئذ الإحالة خارجيّة (exophoric reference) تؤوّل عبرها العناصر الإحاليّة من منظور وسيط تداوليّ.

يذكر إبراهيم الفقي عن مصطلح الإحالة الخارجيّة (reference exophoric) أنّه يشير إلى "الأنماط اللّغويّة التي تشير إلى الموقف الخارجيّ عن اللّغة (extralinguistic situation)، غير أنّ هذا الموقف يشارك الأقوال اللّغويّة. ومن أمثلة تلك الأنماط المشيرة إلى ما هو خارج النّصّ، (him)،(there)، (that) ومصطلح المرجعيّة الخارجيّة، يقابل بمصطلح المرجعيّة الدّاخليّة (endophoric reference)"[32]؛ فالوحدات اللّسانيّة لأيّ لغة طبيعيّة ليست مجرّد سلسلة من صنع الكلمات، فهناك مكوّنات غير لغويّة تفرض نفسها دائما أثناء الإنجاز على مكوّنات لغويّة في كلّ بنية تواصليّة محكيّة كانت أم مكتوبة؛ وبذلك يستلزم فهم الإحالة خارج بنية النّص اعتبار المميّزات غير اللّسانيّة في تحديد معناها وإدراك كنهها وفكّ شفرة قطبيها (الإشاريّ والإحاليّ)، والوقوف "على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنّص، حتّى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بالنّص"[33].

إنّ النّاظر إلى الإحالة الخارجيّة (reference exophoric) وصفا وتفسيرا، ينتهي إلى تأكيد الدّور الحاسم الذي تؤدّيه المتغيّرات المقاميّة التي تكتنف البنية اللّسانيّة واستعمالاتها؛ فالمعاني المعجميّة والصّرفيّة والتّركيبيّة ليست كلّ شيء في إدراك مقصديّة المتكلّم؛ فثمّة عناصر غير لسانيّة ذات أهمّية كبرى في ضبط معنى بعض العناصر المرتبطة بالسّياق التّداوليّ أثناء توظيفها في سياق تواصليّ؛ لأنّ الإشارة اللّسانيّة بموجب التّداوليّة -كما يذكر فرنسواز أرمينكو - "تعيش من خلال الاستعمال"[34]، وبالتّالي تكون العناصر الإشاريّة المتعلّقة بالعنصر الإحاليّ هي "المعرفة المفترضة التي تسمح لنا بالإتيان بمعلومات إضافيّة تخصّه"[35].

ويذكر الأزهر الزّنّاد في حدّه للإحالة المقاميّة إلى ما هو خارج اللّغة بأنّها "إحالة عنصر لغويّ على عنصر إشاريّ غير لغويّ موجود في المقام الخارجيّ ... ويمكن أن يشير عنصر

---

[32] علم اللّغة النصيّ بين النّظريّة والتّطبيق، ج 1، ص 41.

[33] انظر المرجع نفسه، ص 41.

[34] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة سعيد علوش، د. ط؛ مركز الإنماء القومي، د. ت، ص 22.

[35] سعيد بنكراد، "المؤوّل والعلامة والتّأويل"، مجلة فكر ونقد، ع 16، 1999، ص 51.

لغويّ إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثّل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلاً بنفسه"[36] كأن يحيل ضمير المتكلّم "أنا" على ذات صاحبه، ونحو قول القائل في جملة معزولة عن سياقها: هو قال ذلك.

فالمتلقي لهذه الجملة تصادفه عناصر إحاليّة تحيل إلى ما هو خارج البنية اللّسانيّة، ممّا يزيد من غموضها واستغلاق دلالتها؛ فمن القائل؟ وماذا قال؟ كما ينبغي معرفة ما حدث قبل القول، فيجب معرفة الأشياء المحال إليها في مكان ما خارج البنية اللّسانيّة بسبب ارتباط العناصر الإحاليّة بسياق الموقف التّداوليّ الّذي تُفَسَّر في ضوئه تلك العناصر الإحاليّة.

ويتّضح من الإحالة الخارجيّة (exophoric reference) "أنّ ثمّة تفاعلا متبادلا بين اللّغة والموقف، فالموقف يؤثّر بقوّة في استعمال طرق الإجراء"[37]، ويضيف قائلا: "وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف (context) ... وإذا كان معنى مفهوم ما هو موقعه في عالم النّص فإنّ معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور (exophora) هو مكانه في عالم النّص مع التّركيز على عالم الموقف الاتّصاليّ"[38]، كما أوضحنا في المثال السّابق؛ فـ "دون السّياق نقف عاجزين أمام تفسير ما يقال"[39].

ب- الإحالة اللّغويّة الدّاخليّة (Endophoric reference)

تعني الإحالة الدّاخليّة في أدبيات الدّراسات النّصيّة الحديثة العلاقات الإحاليّة داخل النّص بحيث ترتبط العناصر الإحاليّة بالعناصر الإشاريّة النّصيّة أثناء تسييقها في التّركيب اللّغويّ؛ وبذلك فهي "إحالة على العناصر اللّغويّة الواردة في الملفوظ، سابقة أو لاحقة؛ فهي نصيّة"[40].

والإحالة الدّاخليّة - كما يرى إبراهيم الفقي - "هو مصطلح استخدمه بعض اللّغويّين للإشارة إلى علاقات التّماسك الّتي تساعد على تحديد تركيب النّص ... وتقسّم إلى (anaphora و cataphora)[41]".

وبناء على ذلك نعالج الإحالة الداخليّة (endophoric reference) بدراسة نوعيها وهما:

• الإحالة الدّاخليّة القبليّة (Anaphora)

يعرّفها إبراهيم الفقي بقوله: هي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النّص أو المحادثة"[42]، ويضيف عن وظائفها قائلا: "هي الإشارة إلى ما سبق من ناحية، والتّعويض عنه بالضّمير أو بالتّكرار أو بالتّوابع أو بالحذف من ناحية أخرى، ومن ثمّ الإسهام في

---

[36] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 119.

[37] روبرت دي بوجراند، مرجع سابق، ص 339.

[38] المرجع نفسه، ص 232.

[39] إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصيّ بين النّظريّة والتّطبيق، ج 1، ص 165.

[40] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 118.

[41] إبراهيم الفقي، مرجع سابق، ج 1، ص 40.

[42] المرجع نفسه، ص39.

تحقيق التّماسك النّصيّ من ناحية أخرى ثالثة"[43]، وأمّا الأزهر الزّنّاد فيعتبرها "إحالة بالعودة (anaphora) وهي تعود على "مفسِّر" (antecedent) سبق التّلفّظ به"[44]، وحسب سعيد بحيري فإنّ الإحالة القبليّة (anaphora) إلى سابق أو متقدّم تتمّ "حين تحيل صيغة الإحالة إلى عنصر لغويّ متقدّم، وقيل : إنّها إحالة بالعودة ؛ حيث تعود إلى "مفسِّر" أو عائد (antecedent) سبق التّلفّظ به، ومنها يجري تعويض لفظ المفسِّر الّذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المُضمَرُ"[45]؛ فالمفسِّر أو العنصر الإشاريّ يُشار إليه أوّلاً ثمّ يُعاد ذكره في صورة بنية مُضمَرة تحيل إليه وتعوِّضه؛ وبذلك يأتي الضّمير "بعد مرجعه في النّص السّطحيّ"[46]. كما اعتبر إلهام أبو غزالة الإحالة القبليّة بأنّها "الإشارة اللاّحقة؛ أي استعمال شكل بديل لاحق لتعبير يشاركه في المدلول"[47].

وهكذا فالإحالة القبليّة تعني إحالة عناصر لسانيّة واردة في الملفوظ ذات سمة إحاليّة إلى عنصر إشاريّ، سبق التّلفّظ به سابقا عليها، حيث تعوِّضه وتختصره وتتّجه إليه بالإحالة فترتبط به شكلاً ودلالة، بيد أنّه يُشترط أن تتّفق معه في الخصائص الدّلاليّة.

ولتوضيح ما سبق ذكره نورد الأمثلة التّالية: قال تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾[48].

نلاحظ في بداية الآيات ورود المسند إليه "الله" كعنصر إشاريّ يفسّر كلّ المحيلات اللاّحقة عليه؛ كما هو مبيّن في الشّكل:

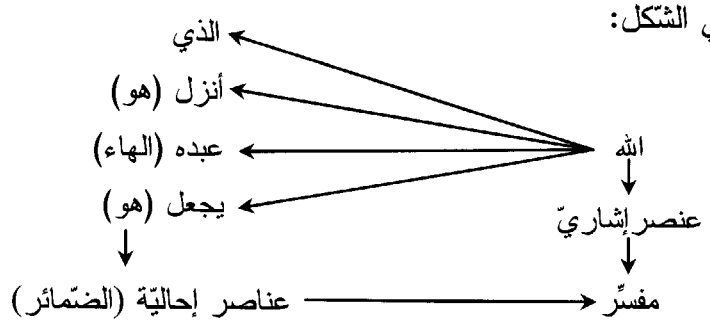

إحالة داخليّة قبليّة Anaphoric reference

الشّكل رقم 2

---

[43] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[44] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 118.

[45] سعيد بحيري، مرجع سابق، ص 104.

[46] روبرت دي بوجراند، مرجع سابق، ص 301.

[47] مدخل إلى علم لغة النّص، ص 92.

[48] سورة الكهف، الآيات من 1 إلى 5.

وكلّ هذه الضّمائر تحيل إحالة داخليّة قبليّة إلى العنصر الإشاريّ الّذي يفسّرها ويحدّد معناها وهو "الله"، ولفظ الجلالة (الله) المتكرّر في صورة ضمائر (متّصلة ومستترة وموصولة) والّتي تسهر على حضوره واستمراره على امتداد طول النّص القرآني لم يرد في موضع الحاجة إليه بل عوّضته واختصرته الضّمائرُ العائدةُ إليه بعد امتصاصها لخصائصه الدّلاليّة ؛ ممّا يجعلها مرتبطة به شكلاً ودلالة.

- **الإحالة الدّاخليّة البعديّة (Cataphora)**

يعرّفها إبراهيم الفقي بقوله: هي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النّص أو المحادثة"[49]، ويحدّها إلهام أبو غزالة بأنّها "استعمال الشّكل البديل الّذي يسبق التّعبير المشارك في المدلول"[50]، كما حدّها روبرت دي بوجراند بأنّها "نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضّمير قبل مرجعه في النّص السّطحيّ"[51]، ولا يبعُد عن هذا التّحديد لمفهوم الإحالة البعديّة كافّة علماء النّص؛ فجلّهم يتّفقون من حيث المبدأ الّذي يقوم عليه هذا النّوع من الإحالة وهو تقدّم العنصر الإحاليّ على مُفَسِّره. يقول سعيد بحيري بأنّ الإحالة إلى لاحق أو متأخّر (cataphora) تتمّ "حين يحيل عنصر لغويّ أو مكوّن ما إلى عنصر آخر تال له في النّص أو مكوّنات من عدّة عناصر متأخّرة عن عنصر الإحالة، وقيل هي تعود على عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النّص ولاحق عليها"[52]؛ فالعنصر الإشاريّ يذكر بعد العنصر الإحاليّ ويأتي لاحقا عليه.

·فالإحالة البعديّة أو اللاّحقة إذن تعني ورود العنصر الإحاليّ قبل مرجعه ومُفَسِّره الّذي يعود عليه ويحيل إليه، وهي عكس الإحالة القبليّة (anaphora)، وسنوضّحها في الأمثلة التّالية: قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[53]

في هذه الآية الكريمة ورد العنصر الإحاليّ المتمثّل في ضمير الشّأن "هو" قبل مرجعه، وقد فسّر إبهامه وغموضه ما تلاه وهو العنصر الإشاريّ "الله أحد"؛ ولذلك فإحالة ضمير الشّأن "هو" في الآية إحالة داخليّة بعديّة أو لاحقة (cataphora). قال تعالى:

﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[54].

وقال تعالى:

---

[49] علم اللغة النّصيّ بين النّظريّة والتّطبيق، ج 1، ص 40.

[50] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النّص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 93.

[51] روبرت دي بوجراند، مرجع سابق، ص 301.

[52] سعيد بحيري، مرجع سابق، ص 104، 105.

[53] سورة الإخلاص، الآية 1.

[54] سورة المائدة، الآية 32.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[55].

وقال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[56].

نلاحظ في الآيات الثّلاث السّابقة ورود العنصر الإحاليّ المتمثّل في ضمير الشّأن قبل مرجعه حيث أدّى وظيفة الإحالة البعديّة إلى مفسِّر متأخّر.

وفي سياق التّمثيل للإحالة البعديّة نأتي بمثالين لمزيد من التّوضيح؛ فأمّا الأوّل فقول أبي العلاء المعري (الخفيف):

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أعجَبُ إلاَّ مِن رَاغِبٍ فِي ازدِيَادِ

إنّ ضمير"الهاء" في الشّطر الأوّل "كلّها" يحيل إحالة داخليّة بعديّة إلى كلمة "الحياة"؛ وهذا الأخير بمثابة العنصر الإشاريّ أو مفسِّر الضّمير.

وأمّا المثال الثّاني فيتمثّل في القطعة النثريّة التّاليّة:

"ترك وجهه يغتسل بنسيم الفجر، لكن روحه لم تنتعش، تريّثَ قبل أن ينحدر في الأرض المسوّاة الممتدّة وراءها غابات النّخيل، ووراء ذلك النّخل يلوح هنا وهنا بين فرجات الشّجر، المنظر، كان **محيميد** يراه آخر مرة... "[57].

ففي هذه العبارة أضمر المسند إليه في الفعل "ترك" منذ البداية، ثمّ فُسِّر بعد ذلك بالعنصر الإشاريّ وهو اسم العلم "**محيميد**"، وتلكم إحالة داخليّة بعديّة (cataphora).

3. التّماسك الضّميري عند علماء العربيّة القدامى

أشرنا آنفا إلى إدراك علماء العربيّة القدامى الإحالة الضّميريّة ودورَها في تماسك الكلام وانسجامه، ونعود الآن لنعرض بشيء من التّفصيل آراءهم من خلال تحليلاتهم ومدارساتهم للنّص القرآني والنّصوص الشّعريّة ؛ وهذا ما اضطلع به النّحاة والمفسّرون والشّرّاح والنّقاد وغيرهم، وتحدّثوا عن الدّور الحاسم الّذي تؤدّيه الضّمائر في شدّ البنى النّصيّة الصّغرى المتفرّعة عن البنية النّصيّة الكبرى ووصلها بها في نصّ ما حيث تنسج الضّمائر خيوطا على امتداد الفضاء النّصيّ ضامنة استمراريّة خطّية الكلام على المستوى التّراكبي مختصرة العناصر الإشاريّة بتعويضها وامتصاصها.

---

[55] سورة يوسف، الآية 87.

[56] سورة الأنبياء، الآية 25.

[57] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مرجع سابق، ص 94.

وبناء على ذلك ينبغي الآن الوقوف عند تحليلات علمائنا القدامى لتبيان دور التّماسك الضّميري - شكليّا كان أم دلاليّا - على مستوى جملة واحدة أو أكثر، وقبل ذلك نشير في هذا السّياق إلى أنّ الضّمائر "تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية ... ولا تقف أهمّيتها عند هذا الحدّ، بل تتعدّاه إلى كونها تربط بين أجزاء النّص المختلفة، شكلا ودلالة، داخليّا (endophoric) وخارجيّا (exophoric)، وسابقة (anaphoric) ولاحقة (cataphoric)"[58].

ومادام للضّمائر هذه المرونة البالغة الأهمّية في التّعويض عن الأسماء تارة، والنّيابة عن الأفعال والعبارات تارة، وحلولها محلّ نصوص لها من الطّول ما للكوميديا الإلهيّة تارة أخرى... وهكذا دواليك؛ كان لابدّ من مساءلة علمائنا القدامى آراءَهم حول ما إذا كان للضّمائر دور فعّال في تحقيق التّرابط النّصيّ أم لا؟ وما إذا كان هذا الدّور على مستوى جملة واحدة أو أكثر؟ وهل أدرك هؤلاء الإحالة الضّميريّة: الدّاخليّة والخارجيّة، القبليّة والبعديّة؟ وهل وعوا ذلك؟ فإن كان الأمر كذلك فيم يتمثّل؟، تلك الأسئلة وغيرها نجيب عنها في ثنايا هذه المحاضرة من خلال تحليلنا لآراء القدامى ونظراتهم.

بادئًا ذي بدء نشير إلى بعض أسماء علمائنا الّذين سنعرض لآرائهم بالتّقصّي والتّحليل وهم: سيبويه (ت180هـ)، الفرّاء (207هـ)، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، الزّمخشري (ت538هـ)، العكبري (ت616هـ)، القرطبي (ت671هـ)، الرّضي (ت686هـ)، ابن هشام (ت761هـ) والسّيوطي (ت911هـ)، وغيرهم كثيرون.

وانطلاقا من ذلك نحاول في مايلي أن نأخذ نماذج للنّحاة والمفسّرين وشرّاح الشّعر ونقّاده مدللين على نضج نظريّة الإحالة عند هؤلاء القدامى في إيجاز، لأنّ المقام ليس مقام تفصيل وإنّما هو مقام تأصيل وتأثيل.

أ- **سيبويه (180هـ):** يأتي سيبويه من بين علماء العربيّة الأفذاذ في الصّدارة حين أشار إلى الدّور الّذي تؤدّيه المعوّضات أو الأسماء المُبهَمة الّتي تمتلك سمة الإحالة وتفتقر في المقابل إلى مرجع يُفسِّرها؛ يشير سيبويه إلى الإحالة النّصيّة اللاّحقة قائلا: "فأمّا المبني على الأسماء المُبهَمة فقولك: "هذا عبد الله منطلقا"... فـ "**هذا**" اسم مبتدأ ليُبنَى عليه ما بعده وهو "عبد الله" ولم يكن ليكون هذا كلاما حتّى يُبنَى عليه أو يُبنَى على ما قبله..."[59]؛ وبذلك شرح قضية التّماسك الشّكليّ والدّلاليّ، كما يمضي في وضع اللّبنات الأولى لتشييد صرح نظرية الإحالة منذ القرن الثّاني الهجري حيث يشرحها بقوله:

---

[58] إبراهيم الفقي، مرجع سابق، ج 1، ص 137.

[59] سيبويه، الكتاب، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، إميل بديع يعقوب، ط 1؛ بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999، ج 1، ص 75.

"بدؤوا بالإضمار لأنّهم شرطوا التّفسير وذلك نووا...
ومثل ذلك "ربّه رجلا"... "نعم رجلا"...

ولا يجوز لك أن تقول: "نعم" ولا "ربّه" وتسكت، لأنّهم إنّما بدؤوا بالإضمار على شريطة التّفسير، وإنّما هو إضمار مُقدَّم قبل الاسم، والإضمار الّذي يجوز عليه السّكوت نحو: "زيد ضربته" إنّما أضمر بعدما ذكر الاسم مظهرا فالّذي تقدّم من الإضمار لازم له التّفسير حتّى يبيّنه...
وممّا يُضمَر لأنّه يفسِّره ما بعده، ولا يكون في موضعه مظهر قول العرب:"إنّه كرام قومك"... فالهاء إضمار الحديث الّذي ذكرت بعد الهاء..."[60].

بناء على ما جاء به سيبويه في نصوصه الّتي أوردناها حتّى الآن عن الضّمير ومفسِّره والموضع الّذي يشغله كلٌّ منهما في الكلام ندرك مدى سبقه لعلماء النّص المحدثين في صياغة نظريّة للإحالة الضّميريّة وإن على مستوى الجملة؛ فإمّا أن يرد المُفسِّر - أو ما اصطلح على تسميّته عند علماء النّص المحدثين بـــ "العنصر الإشاري" - قبل الضّمير أو المُعَوِّض الّذي يفتقر إلى مرجع يفسِّره ويُزيل إبهامه وغموضه؛ وبذلك تكون الإحالة قبليّة أو سابقة (reference anaphoric)، وإمّا أن يتخلّف المفسِّر عن الضّمير ويأتي لاحقا عليه فحينئذ تكون الإحالة بعديّة أو لاحقة (reference cataphoric)، بيد أنّ هذه الضّوابط والشّروط المتعلّقة باتّجاه الإحالة تعمل في الجملة كما تعمل أيضا في النّص، وما قاله سيبويه عن الإحالة الضّميريّة على مستوى الجملة يمكن أن ينسحب على النّص.

ب- الفرّاء (ت207هـــ): أمّا الفرّاء فنجده يتحدّث عن مرجعيّة الضّمير أو الإحالة الضّميريّة على امتداد النّص، يقول معلّقا على قوله تعالى:

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾[61]

قائلا: "يقال: إنّ الهاء الّتي في (به) كناية عن الهدى"[62]؛ فإذا اطّلعنا على سورة الأنعام نجد كلمة "**الهدى**" قد ذكرت في الآية (35) من السّورة نفسها ثمّ ذكر الضّمير (الهاء) الّذي يحيل إلى الهدى عبر عشر آيات في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[63].

---

[60] المرجع السابق، ص 178، 179.
[61] سورة الأنعام، الآية 46.
[62] أبو زكريا بن يحي بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، تحق أحمد يوسف نجّاتي ومحمد علي النّجار، ط 2؛ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1980، ج 1، ص 335.
[63] سورة الأنعام، الآية 35.

إنّ إرجاع الفرّاء العنصر الإحالي إلى مرجعه المُفَسِّر له لم يكن اعتباطيّا؛ فقد استند إلى دلالة الآيات السّابقة كلّها حتّى إذا ما عثر على العنصر الإشاريّ المطابق في سماته الدّلاليّة للضّمير أو العنصر الإحالي فسَّره به، وتلك الإحالة كما نرى من خلال تحليل الفرّاء إحالة نصيّة سابقة (anaphoric reference).

أمّا عن الإحالة المقاميّة (exophoric reference) الّتي لا تمكّننا من تفسير العناصر الإحاليّة إلاّ بالرّجوع إلى السّياق الخارجيّ حيث اعتمد علماؤنا القدامى في مدارستهم النّص القرآني وتفسيره في ضوء العودة إلى السّياق المتمثّل في أسباب النّزول كلّما اقتضت الضّرورة ذلك بسبب اللّبس والغموض اللّذين يلفّان معاني الآيات لاحتوائها أحيانا على بعض الضّمائر الّتي تحيل إلى عناصر إشاريّة غير مذكورة في النّص؛ فينبغي أن يبحث مُفَسِّر النّص القرآني ومُؤَوِّله عن مراجعها في السّياق، وربطها بعناصرها الإحاليّة. يقول الفرّاء (ت207هـ) في تعليقه على قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[64]

قائلا: "المقسمون: الكفّار، سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتيهم بالآية الّتي نزلت في الشّعراء.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[65]، فسألوا رسول الله أن ينزلها عليهم حتّى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى:
قل للّذين آمنوا ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[66]..."[67].

يبدو من خلال عرضنا لتعليق الفرّاء اعتماده على السّياق الخارجيّ في بحثه عن العنصر الإشاري الكامن في الحقل الإشاريّ الخارجيّ والمُفَسِّر للضّمير والمُعيِّن لدلالته، كما يظهر من تعليقه إدراكه لوظيفة السّياق المقامي عبر أسباب النّزول ومناسباتها الّتي برز دورها التّفسيري أن ضبطت الوسيط المقاميّ ففكّت شفرة العنصر الإحاليّ، ولولا استناد الفرّاء إلى المقام الخارجيّ لما زال اللّبس الّذي سيقع فيه القارئ لا محالة؛ وبذلك يكون الفرّاء وغيره من علماء العربيّة ممّن عكفوا على النّص القرآني - دراسة وتحليلا، تفسيرا وتأويلا - قد سبقوا علماء النّص المحدثين عندما أكّدوا على دور السّياق في تحديد دلالات بعض العناصر الإحاليّة وهو ما يعرف لديهم بـــ "الإحالة الخارجيّة أو المقاميّة (exophoric reference)".

---

[64] سورة الأنعام، الآية 109.

[65] سورة الشّعراء، الآية 4.

[66] سورة الأنعام، من الآية 109.

[67] الفراء، مرجع سابق، ج1، ص 349، 350.

وانطلاقا من ذلك يزداد إدراكنا لدور الضّمائر في الرّبط والإحالة والتّماسك - شكليّا ودلاليّا -؛ فأهمّيتها لا تتوقف كونها نائبة أو معوِّضة عن الأسماء أو الأفعال أو العبارات، بل يقتضي وجودها ربط الكلم بعضه ببعض "حيث لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض، ويُبنى بعضُها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[68]؛ فالضّمائر تُعدّ من أنظمة الرّصف الشّكلي والدّلاليّ في العربيّة، بل يكاد لا يخلو أيُّ نصّ منها مهما كان قصيرا أو طويلا، ومن هنا اكتست أهمّيتها لأنّ الإنسان يحسّ بصعوبة عندما يعكف على ذكر تفاصيل الأشياء التي يتحدّث عنها، أو يعيد ما سبق له أن ذكره في مقام آخر؛ فلاجتناب الحشو أو الملل والاقتصاد في الجهد والوقت يلجأ الباثّ (المتكلّم أو الكاتب) إلى توظيف ما دأب النّصيّون على تسميّته بـــ "المُعَوِّضات"، بل إنّ ورودها أو تقديرها أحيانا يكون إجباريّا لفهم النّص.

ج- عبد القاهر الجرجاني (ت471هـــ): يقول عبد القاهر الجرجاني في تعليقه على قوله تعالى:

﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[69]

"إنّه مَن نظر إلى هذه الآية و"لم يعلم أن ليس المعنى في "ادعوا" الدّعاء، ولكنّ الذكر بالاسم ... وأنّ في الكلام محذوفا وأنّ التّقدير: قل ادعوه الله، أو ادعوه الرّحمن ... كان بعرض أن يقع في الشّرك من حيث إنّه إن جرى في خاطره أنّ الكلام على ظاهره، خرج ذلك به، والعياذ بالله تعالى، إلى إثبات مدعوين، تعالى الله عن أن يكون له شريك"[70]؛ فالتّقدير الّذي جاء به عبد القاهر الجرجاني للضّمير المحذوف (ادعوه) أزال الغموض وفكّ اللّبس المؤدّي إلى الشّرك بالله، وقد أثبت بتقديره للضّمير وحدانية المدعوّ وهو كما يلي:

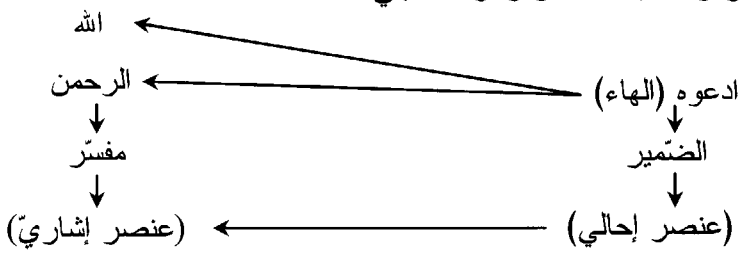

الشّكل رقم 3

وينشأ اللّبس والغموض في ذهن المتلقي حين ورد الضّمير قبل مُفَسِّره، وهذا ما يتطلّب من المتلقي جهدا مضاعفا؛ فبعد تقدير الضّمير ينبغي البحث عن العنصر الإشاريّ المُفَسِّر للضّمير

---

[68] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحق عبد الحميد هنداوي، ط 1؛ بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001، ص 45.

[69] سورة الإسراء، الآية 110.

[70] دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 242.

أو تقديره؛ فالضمير (الهاء) في الفعل (ادعوه) تقدّم ذكره قبل مرجعه (الله والرّحمن) ممّا جعل الضّمير (الهاء) يحيل إحالة لغويّة لاحقة (cataphoric reference) بالإضافة إلى ضمير (الهاء) في (له) الّذي ورد مفردا عائدا إلى مرجع سابق، ورغم تعدّد العناصر الإشاريّة (الله، الرّحمن) فالمرجع واحد دالّ على مدعوّ واحد وليس اثنان، وهذا المدعوّ إمّا نسمّيه الله أو نسمّيه الرّحمن، فهو له الأسماء الحسنى.

د- الزّمخشري (ت538هـ): وإذا تركنا عبد القاهر الجرجاني وانتقلنا إلى الزّمخشري وجدنا لديه كمّا لا بأس به من الآراء الجادّة حول الإحالة الضّميريّة بتحليلات تنمّ عن حسّ نصيّ يكاد يطاول به علماء النّص المحدثين، فقد اقتفى أثر النّحاة السّابقين أمثال: سيبويه (ت180هـ) والمبرّد (ت285هـ) والصبّان[71] (ت1207هـ) وغيرهم في اشتراطهم توافر جملة صلة الموصول على ضمير عائد تفسّره جملة الصّلة التي ينبغي أن تكون معلومة لدى السّامع، فنجده يقول عن الموصول وهو:"ما لا بدّ له في تمامه اسماً من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه"[72]؛ وبذلك تكون وظيفة الضّمير الرّبط والإحالة إلى سابق بامتصاص خصائصه الدّلاليّة كمسوِّغ لاستحضاره في ذهن المتلقي والتّعويض عليه في صورة ضمير عائد.

وإلى جانب إدراكه للإحالة اللّغويّة القبليّة (anaphoric reference) يشرح للقارئ الإحالة الضّميريّة البعديّة (ataphoric reference) قائلا: إنّ "الضّمير في قولهم: ربّه رجلا، نكرة مبهم يرمي به من غير إلى مضمر له ثمّ يفسّره"[73].

ولحاجة المتلقي إلى فهم أشمل لأنواع الإحالة يضيف الزّمخشري نوعا آخر وهو "الإحالة المقاميّة (exophoric reference)" المرتكزة على السياق التّداوليّ، يقول الزّمخشري (ت538هـ) في تفسيره لقوله تعالى:

﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[74]،

"(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنّصارى (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحليته ونعته الثّابت في الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم، وهذا استشهاد لأهل مكّة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحّة

---

[71] محمد بن علي (ت1207هـ): من علماء الأزهر، له حاشية على السلم في المنطق، وله أرجوزة في العروض مع شرحها، وله حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك في النّحو وغير ذلك، انظر محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط 3؛ بيروت: دار المعرفة، د. ت، ج 5، ص 439.

[72] الزمخشري، المفصّل في علم العربيّة، تحق سعيد محمود عقيّل، ط 1؛ بيروت: دار الجيل، 2003، ص 182.

[73] انظر المرجع السابق، ص 172.

[74] سورة الأنعام، الآية 20.

نبوّته"[75] حيث يقرّر رجوع الضّمير (هم) إلى اليهود والنّصارى الّذين لم يجر لهم ذكر في النّص وإنّما أحال الضّمير (هم) إحالة مقاميّة (exophoric reference) إلى عناصر إشاريّة غير لغويّة؛ ففكّ الشّفرة الإحاليّة لهذا الضّمير (آتيناهم) لا يتأتّى إلاّ عبر وسيط مقاميّ تداوليّ يزيد النّص وضوحا وانسجاما بين البنية النّصيّة اللّغويّة والمقام الخارجيّ المحيط بها.

هـ- القرطبي (ت671هـ): كما أدرك القرطبي دور الإحالة المقاميّة في تفسير دلالة الآية الواحدة وتحديدها أو نصّ بأكمله حيث يقول مستندا إلى المقام الخارجيّ في تعليقه على قوله تعالى:

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[76]:

"قيل: الضّمير عائد على إبليس وذريّته ... وقيل: الكناية في قوله: "ما أشهدتهم" ترجع إلى المشركين، وإلى النّاس بالجملة"[77]، وهنا تثار مسألة تعدّد المرجع الّذي يعود إليه الضّمير وما ينجرّ عن ذلك من تعدّد الدّلالات التّفسيريّة للآية الواحدة؛ فهويّة مُفَسِّر الضّمير(هم) إمّا إبليس وذريّته وإمّا المشركون وإمّا عموم النّاس، ويرتدّ هذا الاختلاف في تقدير المرجع المفسِّر إلى الاختلاف في معرفة أسباب النّزول والبيئة الخارجيّة المحيطة بالنّص.

وإلى جانب إدراك القرطبي الإحالة المقاميّة ودور السّياق في إزالة اللّبس بتعيّين المرجع المُفسِّر للضّمير، يتحدّث عن الإحالة النّصيّة القبليّة في تعليقه على قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[78]

قائلا: "الضّمير في قوله: "بينهما" للبحرين"[79]؛ وهي إحالة نصيّة قبليّة فُسِّرت في ضوئها دلالة الآية بإرجاع الضّمير إلى العنصر الإشاريّ المذكور سابقا له "مجمع البحرين".

و- السّيوطي (ت911هـ): كما أدرك السّيوطي ما يتعلّق بتوظيف الدّلالة والسّياق في دراسة الإحالة الضّميريّة، ومفاد ذلك أنّ العلاقة بين مقولات الإحالة الضّميريّة وبين ما تدلّ عليه هي علاقة دلاليّة لأنّ تلك المقولات دوالّ لمدلولات، فهذه الدّوال أو المقولات تكون مبهمة وغامضة، لأنّ دلالتها خارج السّياق تكون عامّة ولا تتخصّص دلالتها العامّة إلاّ في السياق الّذي يعيّن المعنى المناسب من بين المعاني المحتملة حيث يقول السّيوطي عن مرجع الضّمير: "وقد يدلّ عليه السّياق فيُضمَر ثقة بفهم السّامع، نحو ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[80]، ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾[81]،

---

[75] الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل، د. ط؛ دار الفكر، د. ت، م 2، ص 10.

[76] سورة الكهف، الآية 51.

[77] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق عبد الرزّاق مهدي، ط 5؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 2003، ج 11، ص 5.

[78] سورة الكهف، الآية 61.

[79] الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 14.

[80] سورة الرّحمن، الآية 26.

[81] سورة فاطر، الآية 45.

أي الأرض الدّنيا"[82].

كما أنّ الإحالة الضّميريّة قد تكون لغويّة نعثر عليها في سياق النّص الدّاخليّ ممّا تقدّم أو تأخّر؛ فقد يتأخّر العنصر الإشاريّ المحال إليه بالضّمير"متأخّرا لفظا لا رتبة مطابقا له نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾[83] و﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[84] ... "[85]؛ فالضّمير في كلمة (نفسه) أحال إحالة داخليّة بعديّة (cataphoric reference) إلى العنصر الإشاريّ (موسى)، كما قد "يُذكَر شيئان ويعاد الضّمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثّاني نحو ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[86] فأعيد الضّمير إلى الصّلاة"[87] إلى جانب أنّ "الأصل توافق الضّمائر في المرجع حذرا من التّشتّت، ولهذا جوّز بعضهم في ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[88] أنّ الضّمير الثّاني للتّابوت وفي الأوّل لموسى عابه الزّمخشري، وجعله تنافرا مُخرجا للقرآن عن إعجازه فقال: والضّمائر كلّها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التّابوت فيه هجنة لما تؤدّي فيه من تنافر النّظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن، ومراعاته أهمّ ما يجب على المفسِّر"[89]، ومهما يكن من أمر فإنّ الضّمير"لا بدّ له من مرجع يعود إليه"[90]، ووظيفة يؤدّيها بجانب الإحالة والرّبط، يقول السّيوطي (ت911هـ) : "وأصل وضع الضّمير للاختصار، ولهذا قام قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[91] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتي بها مظهرة"[92].

ز- ابن هشام الأنصاريّ (ت761هـ): أمّا إذا انتقلنا إلى ابن هشام الأنصاريّ نجده قد أنتج مادة علميّة غنيّة بشأن الرّوابط فيما بين الجمل التي تُسهم في التّماسك الشّكليّ والدّلاليّ تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر عنه"[93] حيث أشار إلى أهمّية الضّمير ودوره في الرّبط

---

[82] انظر السّيوطي (ت911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ص 282.

[83] سورة طه، الآية 67.

[84] سورة القصص، الآية 78.

[85] السيوطي، مرجع سابق، ص 282.

[86] سورة البقرة، الآية 45.

[87] السيوطي، مرجع سابق، ص 283.

[88] سورة طه، الآية 39.

[89] السيوطي، مرجع سابق، ص 284، 285.

[90] المرجع نفسه، ص 281.

[91] سورة الأحزاب، الآية 35.

[92] السيوطي، مرجع سابق، ص 281.

[93] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني، ط 2؛ بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1969، ج 2، ص 551.

والإحالة؛ فالترابط الضّميري - في رأيه - هو الأصل، ولهذا يذكر به مذكورا كزيد ضربته، ومحذوفا نحو قوله تعالى:

﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[94].

إذا قدّر:"لهما ساحران" بالإضافة إلى ضمير الإشارة نحو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[95].

إنّ الضّمير أيّا ما كان نوعه يؤتى به للرّبط بين السّابق واللاحق ويشدّه إليه، ويُوظّف لتفادي تكرار ما سبق للمتكلّم أن أشار إليه؛ فيكفيه التّعويض عليه بالضّمير الّذي يحيل إلى ما تقدّم مثلما رأينا في الأمثلة التي أوردها ابن هشام الأنصاري؛ ففي الأوّل يحيل الضّمير (الهاء) إلى زيد إحالة لغويّة داخليّة قبليّة (anaphoric reference)، كما أحال ضمير الإشارة (أولئك) إلى ما سبقه من الكلام واستحضره في ذهن المتلقي، فـ (أولئك) قامت مقام جملة "الّذين كذّبوا بآيات الله واستكبروا عنها"؛ فالذات النّصيّة التّي يعوّضها ضمير الإشارة (أولئك) هي جماعة من المكذّبين والمستكبرين، وهي إحالة لغويّة قبليّة.

ونظرا لما للضّمير من أهمّية كبرى في الكلام جعله ابن هشام الأنصاريّ أصل الرّوابط وهذا ما أكّد عليه علماء النّص المحدثين في عدّهم الضّمير من أهمّ عوامل التّماسك النّصي.

إنّ ابن هشام الأنصاري كسابقيه من علماء العربيّة لم يقف تحليله عند حدود الإحالة اللّغويّة القبليّة (anaphoric reference)، بل تحدّث بإسهاب عن الإحالة اللاّحقة (cataphoric reference) فشرح هذه الأخيرة تحت موضوع "المواضع التّي يعود الضّمير فيها على متأخّر لفظا ورتبة"[96]، وهي عنده كما يلي:

"**أحدها:** أن يكون الضّمير مرفوعا بنعم أو بئس، ولا يُفَسَّر إلاّ بالتّمييز، نحو "نِعمَ رجلا زيد"...

الثّاني: أن يكون مرفوعا بأوّل المتنازعين المعمل ثانيهما نحو قوله: "جفوني ولم أجف الأخلاّء"...

الثّالث: أن يكون مخبرا عنه فيفسّره خبرُه نحو ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[97].

الرّابع: ضمير الشّأن والقصّة نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[98].

---

[94] سورة طه، الآية 63.

[95] سورة الأعراف، الآية 36.

[96] ابن هشام، مرجع سابق، ج 2، ص 541.

[97] سورة الأنعام، الآية 29.

[98] سورة الإخلاص، الآية 1.

الخامس: أن يُجرَّ بربّ مفسَّرا بتمييز، وحكمه ضمير نِعمَ وبئس في وجوب كون مُفَسِّره تمييزا وكونه مفردا، قال شاعر (الخفيف):

رُبَّهُ فِتيَةٍ دَعَوتُ إلَى مَا يُورِثُ المَجدَ دَائِبًا فَأجَابُوا

السّادس: أن يكون مبدَلا منه الظّاهر المُفسِّر له كـــ " ضربته زيدًا "..."[99].

كما تحدّث ابن هشام الأنصاريّ في موضع آخر تحت عنوان "الأشياء الّتي تحتاج إلى رابط"[100] حيث أشار إلى بعض الجمل المُفتقِرة إلى أدوات تربط أجزاءها، ويذكر في هذا السّياق:

"**أوّلا:** جملة الموصوف بها، ولا يربطها إلاّ الضّمير إمّا مذكورا نحو ﴿**حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ**﴾ ...[101] .

ثانيًا: الجملة الموصولة بها الأسماء، ولا يربطها غالبا إلاّ الضّمير، نحو﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾ ...[102] .

ثالثا: الواقعة حالا، ورابطها إمّا الواو والضّمير نحو﴿**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾[103] أو الضّمير فقط نحو ﴿**تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ**﴾ ...[104].

رابعا: بدلا البعض والاشتمال، ولا يربطها إلاّ الضّمير: ملفوظا نحو: ﴿**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ**﴾ [105] أو مُقدَّرا نحو: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ**﴾[106] أي منهم ...

خامسا: معمول الصّفة المشبّهة، ولا يربطه أيضا إلاّ الضّمير: إمّا ملفوظا به نحو: "زَيدٌ حَسَنٌ وَجهُهُ"، أو مُقدَّرا نحو:"زيد حسن وجهه" أي منه ... "[107].

وإذا تركنا المفسِّرين واللّغويّين إلى بيئة شروح الدّواوين الّتي اعتمد أصحابها أمثال: ثعلب (ت292هـــ) والعكبري (ت616هـــ) والشنتمري وغيرهم على الدّراسة اللّغويّة لقصائد الشّعراء نجدهم لم يتخلّفوا في إلقاء الضّوء على الضّمائر ودورها في الرّبط والتّماسك والإحلال والتّعويض والإحالة إلى ما سبق أو تأخّر ذكره داخل النّص أو خارجه؛ فإشارات هؤلاء العلماء وجهودهم تفرّعت إلى ثلاثة مستويات للإحالة الضّميريّة وهي كما يلي:

1 - الإحالة النّصيّة في بيت واحد.

---

[99] ابن هشام، مرجع سابق، ج 2، ص 541، 545.

[100] المرجع السابق، ج 2، ص 556.

[101] سورة الإسراء، الآية 93.

[102] سورة يس، الآية 35.

[103] سورة النساء، الآية 43.

[104] سورة الزمر، الآية 60.

[105] سورة المائدة، الآية 71.

[106] سورة آل عمران، الآية 97.

[107] ابن هشام، مرجع سابق، ج 2، ص 556 وما بعدها.

2 - الإحالة النّصيّة على امتداد أكثر من بيت واحد.

3 - الإحالة المقاميّة لمرجع خارج النّص يعرف من خلال السّياق التّداولي.

وسنحاول فيما يلي إيراد مثال لكلّ نوع من أنواع الإحالة الثّلاثة التي دأب على دراستها المفسِّرون واللّغويّون كما رأينا من قبل، فلا مناص من الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ أنواع الإحالة هذه لم يخرج تصنيفها عن هذه الثّلاثة حتّى عند علماء النّص المحدثين.

ك- ثعلب(ت292هـ): يذكر ثعلب في شرحه لقول زهير بن أبي سلمى (الوافر)[108]:

فَـــذُوهَـــاشٍ عُرَيتِنَـــاتِ عَفَتهَا الرِّيحُ بَعدَكَ وَالسَّمَـــاءُ

يَشِمنَ بُرُوقَـــهُ وَيَـــرُشُّ أريَ الـــ جَنُـــوبِ عَلَى حَوَاجِبِهَا العَمَاءُ

كَأنَّ أوَابِـــدَ الثِّيـــرَانِ فِيـــهَا هَجَائِنُ فِي مَغَابِنِـــهَا الطِّـــلاَءُ

قائلا: "ذوهاش وعريتنات: أرضان ... الضّمير في (فيها): في الأرضين"[109].

وبهذا الرّبط بين الضّمير ومُفَسِّره في البيت الأوّل يكون ثعلب قد أدرك الإحالة الضّميريّة الدّاخليّة إلى ما سبق ذكره من عناصر إشاريّة فُسِّر في ضوئها الضّمير؛ وبالتّالي فدلالة البيت متوقفة على دلالة ما سبقه من حيث حضور "ذوهاش وعريتنات" وهما أرضان في الضّمير (فيها) العائد إليهما؛ فشرحُ ثعلب كما نلاحظ من خلال هذا المثال الذي أوردنا تحليله تعدّى البيت إلى ثلاثة أبيات.

ولم يقف ثعلب في شرحه عند هذا الحدّ بل وسّع الإحالة الضّميريّة على امتداد أربعة أبيات التي تفصل بين الضّمير ومُفَسِّره.

يقول زهير بن أبي سلمى في البيت الأوّل (الطّويل)[110]:

غَشِيَـــتُ الدِّيَـــارَ بِالبَقِيـــعِ فَثُهمَدِ دَوَارِسَ قَد أقوَينَ مِن أمِّ مَعبَـــدِ

ثمّ بعد ذلك يقول زهير بن أبي سلمى في البيت الخامس (الطّويل)[111]:

فَلَمـــَّا رَأيـــتُ أنَّـــهَا لاَ تُجِـــيبُنِي نَهَضتُ إلَى وَجنَاءَ كَالقَحلِ جَلعَدِ

فيقول ثعلب عن الضّمير (أنّها) الوارد في البيت الخامس: "الهاء للدّيار"[112].

---

[108] زهير بن أبي سلمى (ت ق 6 م)، الدّيوان، بيروت: دار صادر، د. ت، ص7، 8.

[109] أبو العبّاس أحمد بن يحي بن زيد الشّيباني ثعلب (ت291هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة: الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، 1944، ص ص 56-58.

[110] زهير بن أبي سلمى، مرجع سابق، ص 19.

[111] المرجع نفسه، ص 19.

[112] المرجع نفسه، ص 22.

ل- العكبريّ (ت616هـ): وفي السّياق ذاته نجد العكبري من بين شرّاح الشّعر الّذين اهتمّوا بالنّص الشّعري -شكلا ودلالة - قد تحدّث عن الضّمائر ومرجعيّتها ليس فقط على مستوى بيت أو بيتين بل نظر إلى القصيدة بأكملها حيث يذكر أبو الطّيب المتنبّي في إحدى قصائده سيف الدّولة في أوّل القصيدة، ثمّ يعود ليشير إليه بالضّمير بعد عشرين بيتا.

يقول المتنبّي (الطّويل):

كَفَى بِصَدَقا الــودِّ رِقًّا لِمِثْلِــهِ وَبِالقُربِ مِنهُ مَفخَرًا لِلَبِيبِ

فيقول العكبري بأنّ الضّمير في كلمة (لمثله) يعود على سيف الدّولة المذكور في البيت الأوّل[113].

كما نجده في موضع آخر من شرحه يتحدّث عن الإحالة النّصيّة البعديّة أو اللاّحقة (cataphoric reference)، ونستشفّ ذلك من قول المتنبّي (البسيط):

أعِيــذُهَا نَظــرَاتٍ مِنــكَ صَادِقَةً أن تَحسِبَ الشَّحمَ فِيمَن شَحمُه وَرَمُ

يذكر العكبري أنّ (الهاء) تحيل إلى (نظرات)، وهذا إضمار على شريطة التّفسير[114].

خامسًا: التّماسك الضّميري عند علماء النّص المحدثين.

رأينا قبل آراء علماء العربيّة القدامى ونظراتهم التّحليليّة للضّمائر ووظائفها النّصيّة وأهمّيتها الدّلاليّة والتّداوليّة في ربط جمل النّص ومتتالياته بعضها ببعض، وتفسيرها من منظور المقام الخارجيّ إذا ما حصل اللّبس والغموض في مرجعيّة بعض الضّمائر المرتدّة إلى مُفَسِّرات تداوليّة غير حاضرة في البنية النّصيّة؛ وهو ما دفع بهم إلى الاهتمام بدور الوسائط التّداوليّة في فكّ اللّبس ودفعا للغموض. وهكذا فــ" للمقام الحسّي هاهنا دور أساسيّ في الرّبط بين المُضمَر الوارد في النّص والمُفسِّر الّذي يرتبط به والموجود خارج النّص"[115]؛ ولذلك اعتمد علماء العربيّة القدامى في دراستهم للإحالة الضّميريّة من خلال النّص القرآنيّ والدّواوين الشّعريّة على "تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة وهي الألفاظ التي لها دلالة والتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع وألفاظ مبهمة لها دلالة لكنّك لا تعرف لها خارجا إلاّ متى توفّر مُفَسِّرها وهذا المُفَسِّر قد يكون مقاميّا وقد يكون مقاليّا"[116].

---

[113] أبو البقاء العكبري (ت616هـ)، شرح ديوان أبي الطّيب المتنبّي، المسمّى التّبيان في شرح الدّيوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، د. ط؛ بيروت: دار المعرفة، د. ت، ج 1، ص 53.

[114] المرجع نفسه، ج 3، ص 366.

[115] الأزهر الزّنّاد، نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، ص 130.

[116] محمد الشّاوش، أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة، ط1؛ تونس: المؤسسة العربية للتوزيع، 2001، ج 1، ص 125.

وإذا كان الأمر كذلك في بيئة العلماء القدامى فهل كان علماء النّص المحدثون مختلفين أم مُتخلّفين في دراسة الإحالة الضّميريّة؟ وكيف نظر هؤلاء المحدثون إلى دور الضّمائر في نصّ من النصوص من حيث الرّبط والتّعويض والاختصار والإحالة أو بالأحرى التّماسك النّصيّ ؟ ثمّ هل كان للسّياق المقاميّ مكانة في أدبياتهم وتقاليد دراساتهم؟

اهتمّ علماء النّص المحدثون بدراسة الضّمائر باعتبارها تحقق التّماسك الشّكليّ والدّلاليّ والتّداوليّ في نصّ ما، فتعدّدت إسهاماتهم بخصوص الإحالة الضّميريّة والسّياق التداوليّ الّذي ترتبط به العناصر الإحاليّة المحتواة في نصّ ما حيث تجعله مفتوحا على كلّ المراجعات والقراءات ليصبح النّص مثل هوائيات الاستقبال ترد عليها برامج شتّى المحطّات، وعلى القارئ أن يفرزها ويحلّل رسائلها ويفسِّر محمولاتها الإشاريّة ويفكّك شفراتها مستعينا بكلّ وسائل التّلقي من إدراك وفهم وتأويل لاستنطاق علامات الفضاء الخارجيّ للنصّ وتأويلها.

ومن الجدير بالإلماع في هذا الصّدد أنّ دراسة الإحالة الضّميريّة - من منظور اللسانيات النّصيّة - في إطار البنية اللّغويّة الدّاخليّة وتفسيرها في حدودها تطرح إشكال اللّبس اللّغويّ الّذي لم يحظ بمعالجة مرضيّة حيث يرجع السّبب الأساس في ذلك إلى عدم توسيع الجهاز النّحويّ وتدعيمه بمبادئ تداوليّة معرفيّة؛ فمعالجة الإحالة الضّميريّة من المنظور النّحويّ بمفرده يُبدِي عجزا في وصفها لأنّه يصرف كامل عنايته بالشّكل التّركيبيّ للوحدات اللّغويّة ومعانيها قصد تحديد المحتوى القضوي للجملة المعنيّة بالوصف، وبالتّالي فالجهاز الواصف للنّحو يظلّ ضيّقا لأنّه يقصي المعارف غير اللغويّة من عمليّة الوصف.

وقد أكّد علماء النّص المحدثون على دور الضّمائر في أنظمة التّواصل؛ وبذلك يكون تناولها "كظاهرة لغويّة ذات ارتباط مباشر بالعمليّة التّبليغيّة والخطاب يفرض علينا نظرة خاصّة تتضمّن على الخصوص دراسة مرجعيّتها، وكذا الدّور الّذي تلعبه لضمان تحقيق الإطار التّداولي"[117] لِما لها من وظيفة أساس في قراءة النّصوص وتأويل دلالاتها المشار إليها باعتبار تلك الضّمائر علامات إشاريّة ذات سمات وظيفيّة دالّة أثناء تسييقها لأنّ دلالتها غير ثابتة وقابلة للتّفسير والتّأويل بحيث تتعلق دلالتها "بالمقام الإشاريّ لأنّها غير ذات معنى، ما لم يتعيّن ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الّذي يمثّل المقام الصّقر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتتّخذ محتوى ممّا تشير إليه"[118]، ونستدلّ في هذا السّياق بقول (بول ريكور): بأنّ "اللّغة مليئة بما يؤمّن الارتباط بين الخطاب وظرفيّته الزّمانيّة والمكانيّة؛ فأسماء الإشارة وظروف الزّمان والمكان والضّمائر وأزمنة الأفعال، وعموما كلّ الأدلّة التّعيّينيّة والوصفيّة والإشاريّة تعمل على

---

[117] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النّظريّة التّداوليّة، ط1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2003، ص 68.

[118] الأزهر الزّنّاد، مرجع سابق، ص 116.

ربط الخطاب وترسيخ علاقته بالواقع الزّمانيّ والمكانيّ الّذي يحيط بوجوده كخطاب"[119]؛ فكلّ لغات العالم تحتوي تعبيرات لغويّة يُستنَد في تفسيرها وتأويلها وربطها بمدلولها الّذي تشير إليه إلى السّياق الماديّ الّذي وردت فيه سواء كان مقاليّا أم مقاميّا؛ فإنتاجها أو تفسيرها رهين بمعرفة سياقها، خذ مثلا هذه الجملة المجتزَأة من سياقها نحو: سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنّهم مشغولون الآن[120].

فلا يمكن لأيّ أحد أن يدّعي إدراكه التّامّ لمقصديّة هذه الجملة اللّهمّ بعض المعاني المعجميّة والوظيفيّة للعناصر اللّسانيّة الّتي تتكوّن منها وهو ما يجعل هذه العبارة غير منسجمة لدى المتلقي الّذي يجهل خصوصيّات السّياق المقاميّ الخارجيّ المرتبط بكلّ عنصر من عناصرها؛ فما ينبغي أن يقوم به متلقي هذه العبارة هو الإحاطة بالمرجع الّذي تحيل إليه بعض العناصر الّتي ترتبط بصورة مباشرة بسياقها الماديّ كون دورها "ينحصر في تعيّين المرجع الّذي تشير إليه، وهي بذلك تضبط المقام الإشاريّ (deictic element)"[121]؛ إذ نجد في العبارة السّابقة مجموعة من العناصر الإحاليّة، وهي: واو الجماعة (يقومون، ليسوا)، الضّمير (هم)، ضمير الإشارة (هذا)، ظرفا الزّمان (غدا، الآن)، وظرف المكان (هنا).

ومن هنا يتّضح أنّ فهم العبارة السّابقة يتطلّب من المتلقي كفاءة عالية ثلاثيّة الأقطاب: تركيبيّة، دلاليّة وتداوليّة.

ونعود الآن إلى التّذكير بأنّ كلّ وسائل الرّبط اللّغويّة الّتي ذكرها (بول ريكور) لا تؤدّي دورها فقط في ربط نصّ ما بالسّياق التّداوليّ، بل تؤدّي دورها في النّص بصورة تقوّي تماسكه ووحدته؛ فالضّمائر مثلا تكتسي أهمّيتها في البنية النّصيّة من حيث إنّها" تحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النّص، وميزتا الضّمير "هو" هما: الغياب عن الدّائرة الخطابيّة، والقدرة على إسناد (prédiquer) أشياء معيّنة، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضّمير موضوعا على قدر كبير من الأهمّيّة في دراسة تماسك (cohésion) النّصوص"[122]؛ فتماسك نصّ من النّصوص يستند إلى وضع الضّمائر فيه واتّجاهها بالإحالة إلى أشياء سبق ذكرها في مقام آخر من النّص إلى جانب الكفاءة الإسناديّة الّتي تتّسم بها؛ فالضّمائر من وسائل التّضام التي "تقوم في ظاهر النّص مقام تعبيرات تتّصف بإثارة محتوى أكثر تعيينا وتساعد هذه التّعبيرات مستعملي النّص على الاحتفاظ بالمحتوى وهو مهيّأ في مواقع التّخزين النّشط دون حاجة منهم لإعادة ذكر كلّ شيء بتفصيلاته

---

[119] بول ريكور، النّص والتّأويل، ترجمة منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالميّ، بيروت: مركز الإنماء القوميّ، صيف 1988، ع 3، ص 39.

[120] محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 16.

[121] الأزهر الزّنّاد، مرجع سابق، ص 116.

[122] جزيل فالانسي، النّقد النّصيّ، ترجمة رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النّقد الأدبيّ، الكويت، مايو 1997، سلسلة عالم المعرفة، ص 196.

... كما تقوم مقام الأسماء أو عبارات الأسماء التي تشاركها المدلول أي تشترك معها في المدلول والمعنى"[123].

وقد أكّد علماء النّص المحدثون على الإحالة الضّميريّة النّصيّة (reference anaphoric) التي يحدّد فيها الضّمير مُفَسِّره أو مرجعه من تركيب النّص ويتوجّه إليه بالتّعيين واستحضاره وإعادة تفعيله حيث يقول إلهام أبو غزالة: "يقوم الإضمار بوظائفه في العادة من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النّص في مكوّناته البنويّة، وأفضل الحالات تمثيلا لذلك هي الإشارة اللاحقة حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة"[124]، نحو قوله تعالى:

﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[125]،

وما يتطلّب لقصد فهم هذه الآية إتمام التّركيب الأوّل وهو "بريء من المشركين"، وهنا يبرز دور المتلقي الكفء في ملء الثّغرات باسترجاعه لبنية المسند "بريء من المشركين" بسبب وجود الضّمير الذي يحيل إلى "الله" المسند إليه في التّركيب الأوّل.

وفي السياق ذاته يذكر إبراهيم الفقي فيما ينقله عن هاليداي ورقية حسن أنّ "الضّمائر مع غيرها من الوسائل تكوّن نسيجا نصيّا عاليّا ... لذا إذا ظهرت الضّمائر مثل (these)، (they)، (them)، فإنّها لا تشير إلى أناس أو إلى أشياء فقط بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق"[126]، ويمكننا تأمّل الأمثلة الآتية:

أ- محمد انتقل إلى منزل جديد.

ب- منزل محمد جميل.

ج- هذا المنزل الجديد لمحمد.

د- هو (محمد) بناه (المنزل) منذ عام.

نلاحظ من خلال هذا المثال المشتمل على أربع جمل أنّ الضّمير المنفصل في الجملة الرّابعة يعود على اسم العلم (محمد) المسند إليه في الجمل الثلاث الأولى (أ، ب، ج) وأمّا ضمير الهاء المتّصل في كلمة (بناه) يحيل إلى المنزل المذكور في الجمل الثّلاث الأولى (أ، ب، ج) ممّا يجعل تلك الجمل الثّلاث متماسكة مع الجملة الرّابعة من خلال الضّمائر التي تحيل إحالة داخليّة قبليّة (anaphoric reference)؛ ولذلك حقق وجود الضّمائر التّماسك الشّكليّ والدّلاليّ بالإضافة إلى الإيجاز والتّعويض فأغنت عن إعادة العنصرين الإشاريّين (محمد، منزل) ومنعت تكرارهما فأسهمت في اقتصاد الجهد والوقت بإزالة الحشو والإطالة.

---

[123] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مرجع سابق، ص 92.

[124] المرجع نفسه، ص 101.

[125] سورة التّوبة، الآية 3.

[126] إبراهيم الفقي، مرجع سابق، ج 1، ص 162.

وإلى جانب قدرة الضّمائر الإحاليّة على الإحالة إلى أسماء وكلمات مفردة تعيد أفكار سابقة أو فقرات طويلة تضطلع الضّمائر التي قد تعتبر أشكالا فارغة في المعجم بوظيفة أثناء تسييقها؛ لأنّ معناها مرتبط بسياق ورودها الّذي يضبط لها معنى تُفَسَّر به حيث يمكن لها أن تقوم مقام ملفوظات طويلة، كما تستعمل الضّمائر "عند استبدال شاغلات مواقع قصيرة، وغير ذات محتوى مستقلّ بالعناصر ذات المحتوى، ويطلق الإضمار على تكرار بنية ومحتواها مع حذف بعض تعبيرات السّطح، وفي وسع المرء أن يقوم بإدخال إشارات سطحيّة للدّلالة على الارتباطات القائمة بين الحوادث أو المواقف في عالم النّص"[127]؛ فعندما تروي قصّة لأصدقائك وفجأة يذكّرك أحدهم بقصّة أخرى يعتقد أنّ لها علاقة بموضوع قصّتك فقد تشير إليها ثمّ تقول له: ولكن تلك قصّة أخرى.

من هذا المثال يدرك القارئ الكريم أهمّية ضمير الإشارة (تلك) الوارد في الجملة السّابقة حيث اضطلع بما يلي:

1- ضمير الإشارة (تلك) قام مقام قصّة رويت في سياق آخر، واستحضرت محتواها بإيجاز شديد فضغطت البنية السّطحيّة.

2- ضمير الإشارة (تلك) نظرا لمرونته الإحاليّة أغنى المتكلّم عن رواية القصّة مرة أخرى.

3- ضمير الإشارة (تلك) استُخدم اقتصادا للجهد والوقت واجتنابا لتشتّت الموضوعات؛ فالمتلقي لا يطيق تتبّع الملفوظات المكرّرة والمشتّتة على نحو يبعث على الإرهاق والملل.

4- إنّ المُرسِل أتى بضمير الإشارة (تلك) في عبارته؛ لأنّه يعلم أنّ المتلقي على علم بما يحيل إليه هذا الضّمير بناء على الخلفيّة المعرفيّة التّداوليّة المشتركة بين المُرسِل والمُرسَل إليه.

إذن فكلّ ذلك المجهود اضطلع بأدائه ضمير الإشارة (تلك) الّذي اختزل كلّ الأدوار فصار يساويها من حيث الدّور والمقصديّة.

وفضلا عن ذلك قد يقوم ضمير مقام عبارات بكاملها سبق ذكرها في مقام آخر، وتعاد الإشارة إليها في صورة ضمير، نحو قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[128].

فهاتان الآيتان تحتويان على مجموعة من الضّمائر التي تسهر على تماسكهما وارتباط عناصرهما بعضها ببعض إلى جانب إحالة بعض الضّمائر إلى السّياق التّداوليّ؛ لأنّ بعض الذوات التي تشير إليها موجودة خارج البنية النّصيّة كونها عناصر إشاريّة غير لغويّة، فإذا أتينا إلى هذا النّص القرآنيّ نجد ما يلي:

---

[127] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مرجع سابق، ص 72.

[128] سورة النّحل، الآيتان 10، 11.

إنّ الضّمير المنفصل (هو) الغائب عن الدّائرة الخطابيّة قد أسندت إليه بعض الأعمال مثل: إنزال الماء، إنبات الزّرع، وإنبات الزّيتون...إلخ، كلّ هذه المسندات ترتبط بعنصر إشاريّ واحد وهو ذات الله سبحانه وتعالى فكلّ الضّمائر الّتي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى فإحالتها خارجيّة مقاميّة (exophoric reference) غير نصيّة؛ لأنّ ذات الله لم يجر ذكرها في النّص ويمكن أن نلاحظ ذلك فيما يلي:

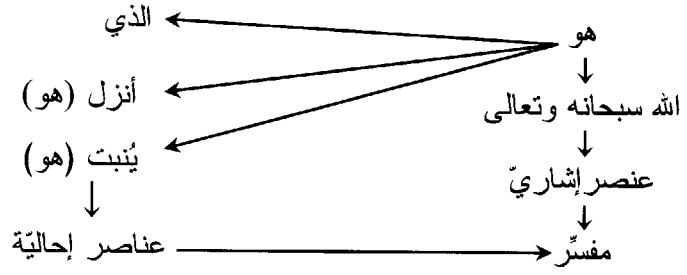

إحالة خارجية (تداولية) Exophoric reference

الشّكل رقم 4

إنّ الإشارة بضمير منفصل إلى الذّات الإلهيّة يؤكّد هيمنة الله سبحانه وانفراده بالملكوت، ثمّ أردف بضمير الموصول (الّذي) للرّبط بين السّابق واللاّحق حيث يشير إلى ارتباط كلّ شيء بالله سبحانه؛ فكلّ الأسباب تؤدّي إليه فلا منجى منه ولا ملجأ منه إلاّ إليه.

يتوجّه هذا النّص القرآنيّ بالخطاب إلى عباد الله فيذكّرهم بآيات الله ونعمه عليهم ليتدبّروها ويشكروا خالقهم على آلائه كلّها؛ فتحيل بعض الضّمائر إلى عباد الله إحالة خارجيّة تُعرَف من السّياق المقامي كوسيط تداوليّ؛ لأنّ العنصر الإشاريّ الّذي يُفَسِّر تلك الضّمائر الواردة في النّص غير مذكور في النّص، ويمكن ملاحظة ذلك فيما يلي:

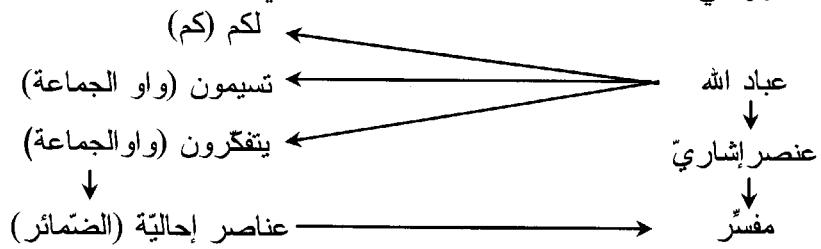

إحالة خارجيّة (تداوليّة) Exophoric reference

الشّكل رقم 5

كما يوجد في النّص ضمائر أخرى تضمن - على مدار النّص - استمراريّة العنصر الإشاريّ (الماء) نظرًا لدوره الحاسم في موضوع النّص، وبذلك يكون عنصر (الماء) عنصرا إشاريّا عاملا لارتباطه بضمائر تحيل إليه مشكّلة ضفيرة إحاليّة متواشجة. يقول زتسيسلاف واو رزنياك: "وعادة ما تتعاون في النّص الضّمائر مع الأسماء المتكرِّرة، وتشكّل معا شبكة اسميّة

إحاليّة أو ضفيرة اسميّة إحاليّة، وحين يضمّ نص ما عدة شبكات اسميّة فإنّ واحدة منها في الغالب هي موضوع النّص"[129].

ولا مناص من الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ أهمّ عنصر إشاريّ في النّص يرتدّ إليه أكبر عدد ممكن من الضّمائر، وأمّا العناصر الإشاريّة غير العاملة تكون كذلك إذا لم توجد أدوات إحاليّة تسهر على استمرارها وامتدادها على طول النّص فحينئذ تكون غير عاملة نحو: شراب، الزّرع، الزّيتون، النّخيل، الأعناب، الثّمرات؛ فهذه عناصر إشاريّة تشير إلى أشياء بلا واسطة إحاليّة، أمّا عنصر (الماء) فيمكن ملاحظته فيما يلي:

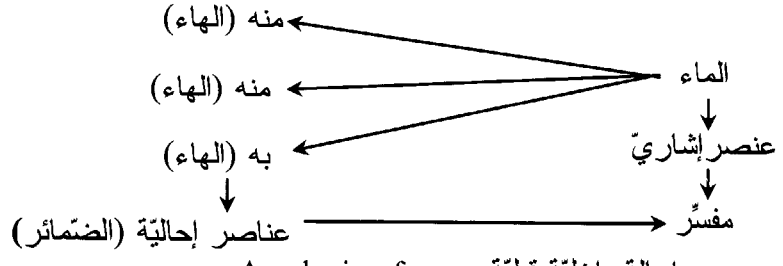

الشّكل رقم 6

ورغم ما قلناه عن بعض العناصر الإشاريّة غير العاملة بناء على خلوّ النّص من الضّمائر المحيلة إليها، يطلّ علينا ضمير الإشارة (ذلك) كبؤرة تنصهر فيها كلّ العناصر الإشاريّة السّابقة عليه، فقد أحال هذا الضّمير (ذلك) إلى عبارات برمّتها.

ولو أتينا نتأمّل هذا الضّمير (ذلك) نلفيه مرتبطا بكلّ ما سبق ذكره من أسماء وأفعال وجمل ودلالات؛ فهذا الماء العذب الفرات الرّقراق مَن أنزله من السّماء؟ ومَن جعله سائغا للشّاربين؟ ومَن أنبت منه شجرا وزرعا وزيتونا ونخيلا وأعنابا وكلّ الثمرات؟.

إنّ النّص القرآنيّ يدعو عباد الله إلى الوقوف والعودة إلى ما سبق للتدبّر والتّفكّر فيه عبر ضمير الإشارة (ذلك) المحدّد للعناصر الإشاريّة واحدا واحدا نحو:

[129] زتسيسلاف واو رزنياك، مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص 125، 126.

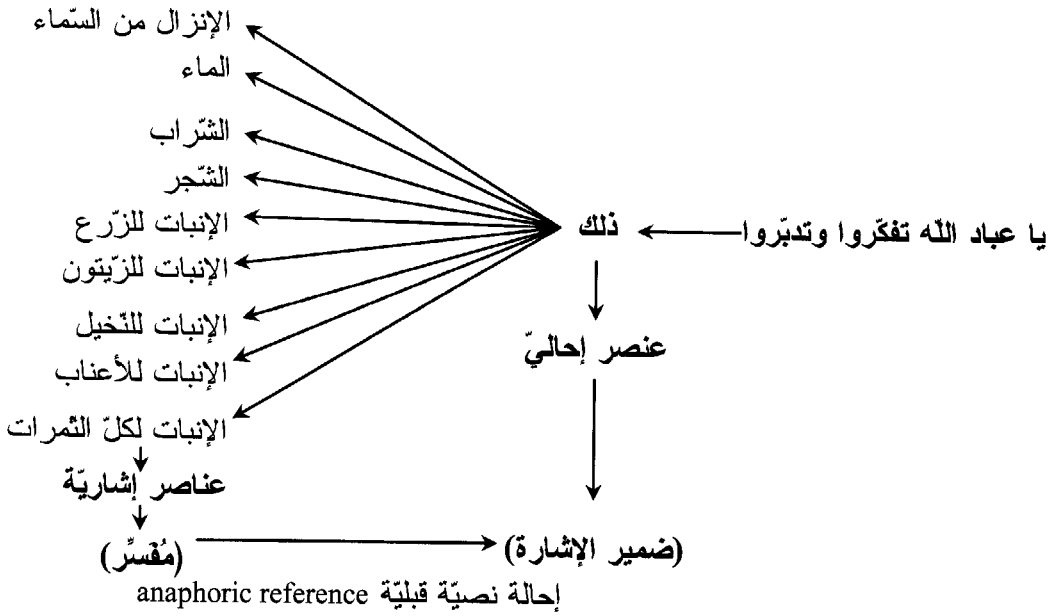

الشّكل رقم 7

وهذه الإحالة - كما نرى - إحالة نصيّة قبليّة (anaphoric reference) لأنّ كلّ العناصر الإشاريّة واردة في النّص قبل العنصر الإحاليّ (ذلك) حيث نخلص إلى أنّ ضمير الإشارة (ذلك) جمع كلّ العناصر الإشاريّة في عقد واحد وشكّل منها ضفيرة إحاليّة متماسكة شكليّا ودلاليّا وتداوليّا؛ وبذلك ندرك أنّ الضّمائر قد تشير إلى ذوات خارجيّة أو أسماء أو أفعال أو عبارات إضافة إلى قدرتها الاستحضاريّة لخطابات سابقة.

ويطلق أحمد مدّاس مصطلح (المُعَيِّنات) على الضّمائر فيرى أنّها تمتلك "قيمة مرجعيّة داخل عمليّة التّواصل... والمُعَيِّنات بحث في شبكة الضّمائر المحيلة على وظائف لغويّة"[130]، ويضيف قائلا: "والمُعيِّنات بحث كذلك في أسماء الإشارة والظّروف. زمانيّها ومكانيّها"[131]، كما يحلو للأزهر الزّنّاد أن يطلق على الضّمائر مصطلح (المُعوِّضات) ويرى بأنّها مزدوجة الدّور في اللّغة؛ فهي:

> "تشير وتعيّن المشار إليه في المقام الإشاريّ؛ فهي غير ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها، ويكتفي سامعها بها في تحليلها.
> تعوّض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به؛ وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حسيّ أو غيره"[132].

---

[130] أحمد مدّاس، لسانيات النّص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ، ط 1؛ عالم الكتب الحديثة، 2007، ص 57.

[131] انظر المرجع نفسه، ص 58.

[132] الأزهر الزنّاد، مرجع سابق، ص 118.

وقد اعتبر علماء النّص المحدثون أسماء الإشارة والموصولات ضمائر نظرا للدّور المشترك بينها جميعا في الرّبط والإحالة والتّعويض والاختصار حيث نجد إبراهيم الفقي يقول: "تقوم الإشارة والموصولات بنفس وظيفة الضّمائر من حيث الإشارة والمرجعيّة والرّبط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النّص"[133]؛ فأمّا الاسم الموصول فهو -كما يقول إبراهيم خليل- : "من الأدوات التي تشدّ من أزر التّلاحم النّحويّ بين ما تقدّم ذكره، والعلم به، وما يراه من المتكلّم أن يعلم به، أو يضمّه إلى ما سبق من العلم به"[134]؛ فاسم الموصول يربط السّابق باللاّحق ويحيل إليه ويعوّضه ويختزله، ويمكننا ملاحظة هذا من خلال المثال التّالي نحو قول القائل: ما فعل الرّجل الّذي كان عندك بالأمس؟

إنّ ضمير الموصول في هذه الجملة يربط بين جملتين إحداهما معلومة لدى المتلقي سبق ذكرها وهي "الرّجل كان عند المسؤول بالأمس"، أمّا ما يريد السّائل إبلاغه للمخاطب هو الجملة المجهولة لديه وهي سؤال السّائل عن "فعل الرّجل"؛ أي ما صدر منه من فعل، وأنت ترى كيف ربط ضمير الموصول "الّذي" بين شيء معلوم وشيء غير معلوم؛ فقد قام الاسم الموصول "الّذي" مقام الاسم الظّاهر "الرّجل" حيث إنّ الجملة تتكوّن من جزأين وهما:

أ- فعل الرّجل.

ب- الرّجل كان عندك بالأمس.

فقد صدّر السّائل جملته بـــ "ما" الاستفهاميّة وعوّض كلمة "الرّجل" في الجملة الثّانية بعد حذفها فانتهت الجملة إلى هذا النّحو: ما فعل الرّجل الّذي كان عندك بالأمس

وأمّا بخصوص الضّمائر الإشاريّة يقول أزولد وتزيفان: "فالأسماء الإشاريّة وحركة التّعيّين لا تكون في ذاتها مُعرِّفة شيئا ما على وجه مرجعيّ، ومن ثمّ وجب أن نؤوّل أسماء الإشارة مثل هذا وذاك على أنّها مشيرة إلى اسم عين مثل (الكتاب الّذي أشير إليه، أو اللّون الّذي للحائط المشار إليه)"[135]؛ وبالتّالي تكون وظيفتها "التّعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه"[136]، ويمكن أن نلاحظ ذلك عبر الحوار الآتي:

- أعرني قلمك.

- تستطيع أن تأخذ ذلك.

---

[133] إبراهيم الفقي، مرجع سابق، ج 1، ص 138.

[134] إبراهيم خليل، في اللّسانيات ونحو النّص، ط 1؛ الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص 230.

[135] أزولد وتزيفان، الدّلالة والمرجع، دراسة معجميّة، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، ضمن كتاب، المرجع والدّلالة في الفكر اللّسانيّ الحديث، جماعة من المؤلفين، د. ط؛ بيروت: إفريقيا الشّرق، 2000، ص 40.

[136] الأزهر الزّنّاد، مرجع سابق، ص 116.

فقد أحال ضمير الإشارة في الجملة الثّانية إلى كلمة "قلم" في الجملة الأولى وقام مقامها، كما زاد من تعلّق الجملة الثّانية بالأولى بالإضافة إلى أنّه يمكن القول بأنّ اسم الإشارة "ذلك" أحال إلى ما سبق ذكره واستحضر كلمة "قلم" في الجملة الثّانية؛ فأهمّيته لا تقلّ عن أهمّية الضّمائر الأخرى "الشّخصيّة والموصولة"؛ إذ يقول محمد خطّابي: "المبدأ العام التّاوي خلف الإشارة وهو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدّم أو خطاب بأكمله"[137]؛ لأنّ دلالة الكلام ترتبط بما يفهم من سابقه ويؤوّل في ضوئه أو من لاحقه فيرتبط بما سيأتي.

إذن فالضّمائر ممّا لا يجد المتكلّم منه بُدًّا لتوظيفها في ربط الجمل بعضها ببعض، باعتبارها - -كما يقول محمد خطّابي -: "تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر متقدّم في خطاب سابق أو استحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق"[138]؛ فعندما يقول القائل: اشتريت كتابا جديدا ثمنه ثلاثمائة دينارٍ دفعتها نقدا.

فهذا الخبر الّذي يريد القائل إبلاغه للسّامع يحتوي على ثلاث جمل وهي:

- اشتريت كتابا جديدا.
- ثمن الكتاب ثلاثمائة دينار.
- دفعت الثّلاثمائة دينار نقدا.

إنّ اللّجوء إلى توظيف الضّمائر أعفى القائل من تكرار بعض العناصر الإشاريّة وما يبعث على التّشتّت ويقلّل من يقظة المتلقي وانتباهه، فجعلت الضّمائر الجمل الثّلاث كما لو كانت جملة واحدة.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصّدد أنّ علماء النّص المحدثين يتّفقون على أنّ النّص - أيّ نصّ - تشتغل فيه "شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص، فتجتمع في كلّ واحد عناصره متناغمة، وهذا مدخل الاقتصاد في نظام المُعوِّضات في اللّغة؛ إذ تختصر هذه الوحدات الإحاليّة العناصر الإشاريّة وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"[139]؛ فالإحالة بوساطة الضّمير من وسائل الرّبط الّتي تفيد الكلام اتّساقا وانسجاما، وتنفي عنه التّكرار، وتجنّبه التّشتّت والتّفكّك، وتُسهم "بشكل فعّال في اتّساق الخطاب"[140].

---

[137] محمد خطابي، مرجع سابق، ص 177.

[138] المرجع نفسه، ص 175.

[139] الأزهر الزّنّاد، مرجع سابق، ص 121.

[140] محمد خطابي، مرجع سابق، ص 175.

خاتمة

لقد كانت غايتنا لدى وقوفنا عند دراسة الإحالة الضّميريّة بين علماء اللّغة العربيّة القدامى وعلماء النّص المحدثين إقامة تأثيلٍ للفكر اللّغوي العربي القديم وتأصيله محاولين اكتشاف نظريّة عربيّة للإحالة، ومَوضَعَتها داخل إرثٍ نظريٍّ عربيٍّ أصيلٍ، وملامسة أوجه التّقاطع والتّطابق من جهة الجهاز المفهومي الموظّف عند كليهما في التّحليل اللّغويّ من حيث المنهج والمصطلحات.

- لقد اكتشفنا أوجه التّطابق شبه التّام بين الفريقين رغم ما بينهما من حقب زمنية طويلة، واختلاف السّياقات التّاريخيّة والحضاريّة والوسائل الإجرائيّة والآليات المساعدة، وهذا فضلاً عن اختلاف الذّهنيّة العلميّة التي تقوم بالبحث والاستقصاء والاستنباط والتّجريد والتّقنين والتّفسير وما إلى ذلك.

- إنّ التداوليات (pragmatics) منهجٌ تحليليٌّ وصفيٌّ وتفسيريّ يتوخّى فهم الظّاهرة اللّغويّة وكشف قوانينها التي تحكم النّص/الخطاب؛ إنّه منهجٌ يبدأ بالنّص وينتهي به، وبينما مال المُحدَثون إلى الكلّية والشّموليّة مال اللّغويون القدامى إلى الجزئيّة في إطار نحو الجملة اللّهمّ إلاّ المفسّرين الذين عكفوا على النّص القرآنيّ في علاجهم للإحالة وأهمّيتها في تحديد دلالات الآيات وتحكّمها بالسّياق النّصي الداخليّ والمقام التّداوليّ إلى جانب شُرّاح الشّعر الذين عالجوا الضّمائر في فضاء نصيّ يتجاوز الجملة إلى النّص برمّته بل قد يتجاوز السّياق اللّغويّ إلى المقام الخارجيّ التّداوليّ.

- للرّوابط الإحاليّة دورٌ مهمٌّ في تحقيق التّماسك بين أجزاء النّص كما تكشف عن مواضع الغموض والتّعمية.

- إنّ الأسس المعرفيّة للإحالة الضّميريّة كانت حاضرة في الدّرس اللّسانيّ العربيّ القديم وخاصة عند البلاغيين والمفسّرين وشرّاح الشّعر.

- درس علماء العربيّة القدامى من نحاة ومُفسّرين وشُرّاح الشّعر ونُقادٍ وغيرهم الإحالة في شتّى مستوياتها: الدّاخليّة والخارجيّة، واتّجاهاتها القبليّة والبعديّة؛ وبذلك لم يكونوا بعيدين عن علماء النّص المُحدَثين في درسهم للإحالة الضّميريّة ويمكن تلخيص ما انتهى إليه الفريقان - قدامى ومحدثين - في باب الإحالة الضّميريّة في النّقاط التّالية:

- المعوّضات تفتقر إلى مرجع يُفسّرها.
- ضرورة التّطابق في الخصائص الدّلاليّة بين العنصر الإشاريّ والعنصر الإحالي.
- للسّياق الخارجيّ دور حاسمٌ في تفسير بعض العناصر الإحاليّة.
- للضّمائر دور فعّال في: الرّبط، والإحلال، والتّعويض، والاختصار، والانسجام المعنوي بين العناصر المتباعدة في نصّ ما.

- مبحث الإحالة واسعٌ يشمل الإحالة النّحويّة داخل الجملة من خلال الضّمائر، ويشمل تعلّق الجمل بعضها ببعض وهو المطلق عليه: الإحالة النّصيّة.
- لموضوع الإحالة قسمان: إحالة داخليّة بين عناصر النّص وإحالة خارجيّة تكون علاقة النّص أو بعض عناصره ذات علاقة مع السّياق الخارجيّ.
- الإحالة عَودٌ على بدء وربط للآخِر بالأوّل.
- كلّ لفظ عام أو مجمل يحمل قيمة إحاليّة لأنّه يختصر كلاما كثيرا أو يُحيل على جزء من نصٍّ أو على جملٍ أو على كلام كثيرٍ.

وبذلك يبقى دائمًا البحث في الإحالة الضَّميريّة وتفسيرها خاضعا للكفاءات التّقارئيّة، وامتلاك الأدوات النّصيّة: الشّكليّة والدّلاليّة والتّداوليّة بل يقتضي فكّ شفراتها وتأويلها من المتلقي أن يَتَموضَع في مكان المخاطِب والمخاطَب ليستطيع دخول عالم النّص بالإضافة إلى تجاوزه البنية اللّسانيَّة الدّاخليّة المُغلقة إلى الفضاءات التّداوليَّة للنّص؛ ومن ثمّ الانفتاح على أغلب المرجعيات الثّقافيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والسّياسيّة الّتي ينتمي إليها الخطاب، وكذا الملابسات التّأويليّة المحيطة لاستنطاق علامات الفضاء الخارجيّ؛ وذلك بتجاوز تلك الأطر البنيوية المُغلقة إلى تناول معطيات البنيّة الرّأسيّة، واستثمار كلّ الأنظمة الدّالّة، وتفجير المرجعيّات عبر فكّ شفرات عناصر الإحالة المقاميّة في النّص، واستكناه المعاني الغائبة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، لسان العرب، دون طبعة، دار إحيـــاء التراث العربيّ، دون تاريخ، مادة (حول).

أزولد وتزيفان، الدّلالة والمرجع، دراسة معجميّة، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، ضمن كتاب، المرجع والدّلالة في الفكر اللّسانيّ الحديث، جماعة من المؤلّفين، دون طبعة؛ بيروت: إفريقيا الشّرق، 2000.

أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النّص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، الطبعة 2؛ القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1999.

الأنصاري، ابن هشام، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وراجعه سعيد الأفغاني، الطبعة 2؛ بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1969، الجزء 2.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة 1؛ بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشّاف عن التنزيل وعيون الأقاويل، دون طبعة؛ دار الفكر، دون تاريخ، مجلد 2.

ـــــ، المفصل في علم العربية، تحقيق سعيد محمود عقيل، الطبعة 1؛ بيروت: دار الجيل، 2003.

الزنّاد، الأزهر، نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الطبعة 1؛ بيروت: المركز الثّقافي العربيّ، 1993.

المتوكّل، أحمد، بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، دون طبعة؛ الرّباط: دار الأمان للنّشر والتّوزيع، 2001.

السّيوطي، عبد الرّحمن جلال الدّين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دون طبعة؛ بيروت: المكتبة العصريّة، 1997.

العكبري، أبو البقاء، شرح ديوان أبي الطّيب المتنبّي، المسمّى التّبيان في شرح الدّيوان، ضبط وتصحيح ووضع فهارسه، مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دون طبعة؛ بيروت: دار المعرفة، دون تاريخ، الجزء 1.

الفقي، صُبحي إبراهيم، علم اللّغة النّصيّ بين النّظرية والتّطبيق، دراسة تطبيقيّة على السّور المكّية، الطبعة 1؛ القاهرة: دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2000.

الفرّاء، أبو زكريا بن يحي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجّاتي ومحمد علي النّجار، الطبعة 2؛ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1980، الجزء 1.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الرزّاق مهدي، الطبعة 5؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 2003، الجزء 11.

الشّاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الطبعة 1؛ تونس: المؤسسة العربية للتوزيع،2001.

الشّيباني، أحمد بن يحي بن زيد أبوالعبّاس ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة: الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، 1944.

أرمينكو، فرنسواز، المقاربة التّداوليّة، ترجمة سعيد علوش، دون طبعة؛ مركز الإنماء القومي، دون تاريخ.

بحيري، سعيد حسن، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، الطبعة1؛ القاهرة: مكتبة الآداب، 2005.

بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النّظريّة التّداوليّة، الطبعة 1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2003.

بن أبي سلمى، زهير، الدّيوان، بيروت: دار صادر، دون تاريخ.

بنكراد، سعيد، "المؤوّل والعلامة والتّأويل"، مجلة فكر ونقد، العدد 16، 1999.

براون، جوليان ويول جورج (Gillian Brown, George Yule)، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التّريكي، دون طبعة؛ السّعوديّة: جامعة الملك سعود،1997.

دايك، فان، النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلاليّ والتّداوليّ، ترجمة عبد القادر قنيني، دون طبعة؛ افريقيا الشّرق، 2000.

دي بوجراند، روبرت، (Robert De Beaugrand)، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة تمّام حسّان، الطبعة 1؛ القاهرة: عالم الكتب، 1998.

حمو الحاج، ذهبيّة، لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب، دون طبعة؛ الجزائر: دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2005.

حسام الدّين، كريم زكي وآخرون، معجم اللّسانيات الحديثة، إنكليزي-عربي، مكتبة لبنان ناشرون، 1997.

مدّاس، أحمد، لسانيات النّص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ، الطبعة 1؛ عالم الكتب الحديثة، 2007م.

موشلار، جاك، التّداوليّة اليوم، علم جديد في التّواصل، ترجمة سيف الدّين دغفوس والشّيباني، محمد مراجعة لطيف زيتوني، الطبعة 1؛ بيروت: دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، 2003.

مفتاح، محمد، مجهول البيان، دون طبعة؛ الدّار البيضاء: دار توبقال، 1990.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، دون طبعة؛ القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة، 2002.
سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إميل بديع يعقوب، الطبعة 1؛ بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.
سيرفوني، جان (Jean Cervoni)، الملفوظيّة، ترجمة قاسم المقداد، دون طبعة؛ منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1998.
عفيفي، أحمد، نحو النّص، اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، القاهرة، الطبعة 1؛ مكتبة زهراء الشّرق،2001.
فالانسي، جزيل، النّقد النّصيّ، ترجمة رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النّقد الأدبيّ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، مايو1997.
فوك، كاترين وقوفيك، بيارلي، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1984.
رزنياك، زتسيسلاف واو، مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص، الطبعة 1؛ القاهرة: مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2003.
ريكور، بول، "النّص والتّأويل"، ترجمة منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالميّ، بيروت، مركز الإنماء القوميّ، صيف 1988.
شاهر، حسن، علم الدّلالة السمانتيكيّة والبراجماتيّة في اللّغة العربيّة، الطبعة 1؛ عمان: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2001.
خطّابي، محمد، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة 1؛ المغرب: المركز الثّقافي العربي،1991.
خليل، إبراهيم، في اللّسانيات ونحو النّص، الطبعة 1؛ الأردن: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع، 2007.

ثبت المصطلحات

انجليزي	فرنسي	عربي
Anaphora	Anaphora	الإحالة الدّاخليّة القبليّة
Antecedent	Antécédent	مفسِّر
Cataphora	Cataphora	الإحلة الدّاخليّة البعديّة
Coherence	Cohérence	انسجام
Cohesion	Cohésion	اتساق، سبك
Situational context	Contexte situationnel	سيّاق مقامي، خارجيّ
Deictic element	Elément déictique	مقام إشاريّ
Deictic field	Champs déictique	حقل إشاريّ
Discourse	Discours	خطاب
Deictic	Déictiques	إشاريات
Endophora	Endophora	إحالة لغويّة داخليّة
Exophora	Exophora	إحالة مقامية، خارجيّة
Sign	Indice	مؤشّر
Linguistic context	Contexte linguistique	سياق لغويّ
Phrase grammar	Grammaire de phrase	نحو الجملة
Pragmatic function	Fonction pragmatique	وظائف تداوليّة
Pragmatic reference	Référence pragmatique	إحالة تداوليَّة
Pragmatics	Pragmatique	تّداوليّات،علم التخاطب
Reference	Référence	إحالة، مرجعية
Referent	Référent	مرجع
Textuality	Textualité	نصية